الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبي

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أدرار

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

دلالة الألفاظ عند البشير الإبراهيمي" رسالة الضب أنموذجاً"

بحث مقدم لنيل شهادة " الماستر" في اللغة والأدب العربي تخصص :
الدراسات الجزائرية في اللغة والأدب العربي

إعداد الطالبة:

فاطمة حنيني

إشراف الأستاذ:

د. سليمان قوراري

السنة الجامعية: 1433 / 1434هـ - 2012 / 2013م.

إهداء

إلى التي لا معنى للحياة بدونها، بهجة القلب وهبة الرب، أمي الغالية أطال الله عمرها

إلى الذي علمني على دين الإخلاص أنشأني:أبي العزيز أدام الله بقاءه.

إلى من شاطرني الفرح والأمل إخوتي وأخواتي .

إلى واضع لبنات تدرجي العلمي: شيخي، معلمي، أساتذتي الكرام.

إلى من جعله القدر في طريقي وسندي في المستقبل.

إلى من تربطني بهم صلة الرحم .

إلى الذين قضيت معهم أجمل أوقات العمر وأروعه...

صديقاتي

شكر وعرفان

"من أسدى إليكم معروفاً فكافؤوه "

أولاً نشكر المولى عز وجل على نعمة العلم التي وفقنا إليها بمنه وكرمه

نتقدم بجزيل الشكر والثناء وخالص التقدير والعرفان إلى كل الذين شاركونا هذا العمل و لم يبخلوا علينا بنصائحهم وتوجيهاتهم القيمة نخص بالذكر شيخنا وأستاذنا وقدوتنا وملاذنا ومن على الله وعليه اعتمادنا الدكتور سليمان قوراري الذي ساهم معنا في توفية حق هذا البحث بنيته ومحبته الصادقة لأهل العلم، جعله الله في ميزان حسناته

كما نتوجه بجزيل الشكر والتقدير والإحترام إلى أستاذنا الفاضل قصباوي عبد القادر الذي ساعدنا بتوجيهاته العلمية الرصينة التي سهلت لنا طريق البحث وأجبت عنا صعوباته فجزاه الله عنا خير الجزاء.وشكرنا موصول لكل الأساتذة الذين لم يبخلوا عنا بتصويباتهم ونصائحهم السديدة على رأسهم الأستاد خدير المغيلي، والأستاذ أحمد جعفري، والأستاذ مشري الطاهر، حدباوي، بلالى.....

كما نشكر اللجنة المناقشة على تصويباتهم المرجوة.

والشكر موصول إلى كل من كانت له مساعدات قريبة أو بعيدة،أحمد حنيني، عمال المكتبة المركزية، عمال دار الثقافة، وإلى كل أساتذة وطلبة قسم اللغة والأدب العربي.

لكل هؤلاء جزيل الشكر

مقدمة

ارتبطت اللغة بالإنسان منذ القِدَم أشد ارتباط فكانت متنفسه، باعتبارها القناة التي تمر فيها مقاصده، مما جعلها محل اهتمام القدماء، ومع تقدم الأيام وتوسع دائرة التواصل اتسع الأمر ليشمل جوانب عديدة منها: الصرفي والنحوي ،والتركيبي ...والدلالي.

ويعد البحث الدلالي من المباحث التي لقيت اهتماماً كبيراً من لدن الباحثين منذ بزوغ شمس القرآن الكريم،ورغبة في خدمة لغته تنافس العلماء عبر العصور في مضمار خدمة النص القرآني واللغة العربية، وبيان أسرارهما وكنوزهما الغزيرة، فظهرت مؤلفات كثيرة ومتباينة في أحجامها وفوائدها المتعددة وذلك في مشرق العالم الإسلامي ومغربه، وقد نالت الجزائر حظها من المؤلفات التي أبانت عن عبقرية لغوية ومتجذرة أبرزت عشق ووله أبناء المغرب العربي وتمسكهم بالعربية منذ أن سكنت الشمال الإفريقي مع بداية الفتح الإسلامي، مع موسى ابن نصير وطارق ابن زياد وقبلهما عقبة ابن نافع وإخوانه الصحابة والتابعين.

ونظراً لاهتمام البحث واقتصاره على الجزائر وأعلامها. ارتأينا أن نلقي الضوء على شخصية بارزة وعلم من أعلامها الذين كان لهم إسهاما كبيراً حول البحث في دلالة الألفاظ ويتجلى ذلك في الرسالة الموسومة برسالة الضب للشيخ البشير الإبراهيمي فكان عنوان المذكرة موسوماً ب:- دلالة الألفاظ عند البشير الإبراهيمي "رسالة الضب أنموذجاً ".

إشكالية البحث:

تحقيقاً لرغبة البحث خضنا غماره منطلقين من إشكالية تشمل مجموعة من الاستفسارات: من هو البشير الإبراهيمي ؟ وما مدى مساهمته حول البحث في دلالة الألفاظ ؟ وما هو الدور الذي يمكن أن تساهم به الرسالة في إثراء الدرس اللغوي واكتشاف واكتشاف بعض كنوزه المدفونة ؟

أسباب اختيار الموضوع:

ومن بين الأسباب التي دعتنا إلى جعل الموضوع محل اهتمام ودراسة هو كون الموضوع يتناول شخصية جزائرية منطوياً تحت مشروع الماستر ،أضف إلى ذلك كون الرسالة صنفت ضمن الرسائل الأدبية ناهيك عن طريقة تأليفها.

أهداف البحث:

ولعل رغبتنا في اكتشاف خبايا ومكنونات رسالة الضب والكشف عن دلالة ألفاظها ومدى طبيعتها، فكان الدافع القوي الذي حملنا لخوض غمار هذا الموضوع، وهو موضوع مشدود الأزر بأهداف هي:

1- إثبات علماء الجزائر كان لهم الحظ في توظيف الجانب الدلالي من اللغة.

2- تبيان مدى اطلاع الإبراهيمي على مختلف العلوم (نحو،دلالة،....)، متشبع بثقافة سابقيه.

3- كون الشيخ الإبراهيمي سالت حوله الأقلام وبشكل كبير في الميدان الإصلاحي، ارتأينا في البحث الالتفاتة إلى الجانب الأدبي .

صعوبات البحث :

هذا وقد اعترضت طريقنا –ونحن نلج غمار هذا البحث- عقبات منها: قلة الدراسات الجزائرية حول الجانب النثري، وخاصة المتعلقة بالبشير الإبراهيمي (حامل رايته في الجزائر لاسيما خطبه ورسائله).

تقسيم البحث:

وقد رسمنا في بحثنا هذا خطة ارتأينا من خلالها أن نوزع بحثنا على مقدمة ومدخل وفصلين، تناولنا في المدخل التعريف بالبشير والحديث عن مكانة الرسالة ،أما الفصل الأول فخصصناه للحديث عن ماهية الدلالة وجهود العلماء حول البحث في دلالة الألفاظ وجهود الإبراهيمي ،أما الفصل الثاني فكان تطبيقياً تناولنا فيه التعريف بالرسالة وتبيان دلالة ألفاظها وخرجنا بخاتمة كخلاصة لأهم ما توصلنا إليه من نتائج.

المنهج المتبع في البحث:

وانطلاقاً من هذه الاستفسارات وغيرها حاولنا الإجابة عن هذه الإشكاليات معتمدين في ذلك المنهج الوصفي التحليلي المناسب لطبيعة الدراسة.

الدرسات السابقة:

وللحديث عن الدراسات السابقة نقول، أننا لم نعثر على دراسة متكاملة حول الرسالة إلا ما جاء على شكل مداخلات أو مقالات.

المصادر المعتمدة:

كما اقتصرنا في بحثنا على مجموعة من المصادر والمراجع أهمها: آثار البشير الإبراهيمي، دلالة الألفاظ إبراهيم أنيس، وعدة معاجم كانت سندا لنا ك :لسان العرب وأساس البلاغة ،الأمثال السائرة....

وفي الأخير نتوجه بالشكر الجزيل إلى الأستاذ المشرف الدكتور قوراري سليمان الذي تحمل معنا أعباء هذا البحث ورافقه بملاحظاته وتوجيهاته السديدة حتى أكتمل بنيانه وأينعت ثماره، وأملي أن ينال مكانته العلمية بعد ملاحظات لجنة المناقشة الموقرة التي أرفع لها أسمى آيات الشكر والتقدير .

مدخل

التعريف بالبشير الإبراهيمي ورسالته:

1) **المولد والنشأة.**
2) **آثاره ووفاته.**
3) **موقع رسالة الضب بين الرسائل اللغوية القديمة.**

1)- المولد والنشأة:

دخلت الجزائر أبان الاحتلال الفرنسي في مرحلة مخاض عسيرة، فعرفت شتى أنواع الظلم والاستبداد من محاربة شرسة للعقيدة والثقافة والدين ومحاولة التجهيل والتغريب وهدم لكل مقومات الشخصية، فراحت الأقلام تعبر وتنشر شعائر الإسلام والصلاح والحفاظ على العربية. لقد أنجبت الجزائر الكثير من الرجال، هم الرجال مازالوا وسيبقون معالم ومنارات، ومن هؤلاء الإعلام الأفذاذ إمام الجزائر وعلامتها بل فخر علمائها:- الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، الذي سوف على جوانب من حياته.

عرّف البشير بنفسه في مقال من أنا بطلب من مجلة المصور المصرية بقوله:"أنا محمد البشير بن محمد السعدي بن عمر بن محمد السعدي بن عبد الله بن عمر الإبراهيمي نسبة إلى قبيلة عربية تُعرف "بأولاد أبراهم* "،ويرجع نسب هذه القبيلة إلى إدريس** بن عبد الله مؤسس دولة الأدارسة ؛ولدت عند طلوع الشمس من يوم الخميس الرابع عشر من شوال 1306هجرية الموافق للثالث عشر جوان 1889م"[1] .

نشأ الإبراهيمي في أسرة عرفت بالتقوى والورع وحُب العلم الذي ورثته أباً عن جد ،تلقى على يد أبيه مبادئ تعليمه ،ولما بلغ الثالثة من عمره أدخله كـــُتاب القرية فحفظ القرآن في سن مبكرة تبعا للأسلوب التقليدي الشائع والمتبع في بيته وبلاد المغرب،وكان يشرف عليه في ذلك عمه :الشيخ المكي الإبراهيمي المتفنن في علوم العربية من نحوها وصرفها واشتقاقها ولغتها.[2]

---

*- قرية تقع بدائرة رأس الوادي جنوب مدينة سطيف.

**- دخل المغرب 170ه فاراً من موقعة (فخ) التي كانت بين العباسيين والعلويين، وإليه ترجع أنساب الأشراف الحسنيين في المغرب والجزائر.

1- الإبراهيمي، محمد البشير "أنا"، مجلة الثقافة، ص11، السنة 15، العدد87.

2-ينظر،نفسه،ص12،وينظر،آثار محمد البشير الإبراهيمي،محمد البشير الإبراهيمي ،جمع وتقديم نجله أحمد طالبي،09/1،دار الغرب الإسلامي،1987، الطبعة الأولى.

ولما بلغ التاسعة من عمره ،كان قد أتم حفظ القرآن وفهم كثيراً من مفرداته وغريبة،كما استوعبت حافظته بعض متون الفقه واللغة والنحو ،فأستظهر ألفية ابن مالك ومعظم كافيته ،وألفية ابن مُعطي الجزائري ،وألفيتي الحافظ العراقي في السيّر والأثر ،وجمع الجوامع في الأصول وتخليص المفتاح للقاضي القزويني ،والمعلقات والمفضليات وشعر المتنبي وكثير من شعر الرضي وابن الرومي وأبي تمام والبحتري وأبي نواس ،كما استظهر كثيراً من شعر جرير والأخطل والفرزدق ،كما حفظ كثيراً من كتب اللغة كالإصلاح والفصيح ،ومن كتب الأدب كالكامل والبيان وأدب الكاتب ،أضف إلى ذلك حفظ الشيخ أسماء الرجال الذين ترجم لهم نفح الطيب وأخبارهم والكثير من شعرهم.[1]

رزق الإبراهيمي حافظة قلّ نظيرها في القوة،وسرعة فهم لا تجارى ،الشئ الذي جعل من عمه يتوجس خيفة من عواقب هذا النضج المبكر،فكان لا يكلفه الحفظ إلا بمقدار ولا يُجيب طلبه المزيد من الحفظ .[2]

2)- رحلاته:-

أ)- رحلته إلى المشرق:-

بعد أن تجاوز الإبراهيمي العشرين من عمره تاقت نفسه إلى الهجرة إلى المشرق العربي فأختار المدينة المنورة وكان والده السعدي قد سبقه إليها سنة 1908 فألتحق به متخفياً سنة1912 ،مرّ بمصر وأقام فيها ثلاثة أشهر،التقى ببعض علمائها وأدبائها وشعرائها ،وحضر بعض دروس العلم في الأزهر،وعندما استقر بالمدينة المنورة درس فيها على كبار علمائها-الوافدين من كل أنحاء العالم الإسلامي –علوم التفسير والحديث

1-ينظر بطاقة حياة ،محمد عمارة ،ص169،الملتقى الدولي للإمام محمد البشير الإبراهيمي،بمناسبة الذكرى الأربعين لوفاته ،دار الغرب الإسلامي ،ط1،1427،2006م،الجزائر قصرا لثقافة ،في 13و14 ربيع الثاني 1426،الموافق ل22-23ماي،2005.وينظر،مجلة الثقافة ،ص12.

2- ينظر،نفسه ،ص12،

والفقه والتراجم ،وأنساب العرب وأدبهم ،ودواوينهم ،كما درس المنطق والحكمة المشرقية ،وأمهات كتب اللغة والأدب.[1]

وبالتالي ظل الإبراهيمي للعلم طالباً، وللكتب هاضماً، وللمجالس قاصداً، مما طوعت له ملكته في الحفظ وطلبه للعلم تشكيل ثقافة واسعة في ظل الظروف السياسية والاجتماعية على الصعيد الداخلي والخارجي.

وخلال إقامته بالمدينة المنورة في موسم الحج عام 1913،التقى بالإمام عبد الحميد بن باديس ،فتوثقت الصلة بينهما ،ويؤكد البشير أن هذه الفترة التي قضاها مع صاحبه ابن باديس هي التي شهدت ميلاد جمعية العلماء المسلمين بالجزائر وإن كان ظهورها قد تأخر إلى عام 1931؛وعند هجرته من الشام ،ونزوله بدمشق لأسباب سياسية اختير أستاذاً للمدرسة السلطانية، وهي المدرسة الثانوية الوحيدة في ذلك الوقت،تخرّج على يديه كثير ممن يحمل منارة الفكر في الشام في أيامنا هذه.[2]

ب)- نشاطه الإصلاحي في الجزائر:

عاد الإبراهيمي إلى الجزائر عام 1920،ليأخذ مكانه في صفوف الجهاد في سبيل نشر العلم وبعث الأمة الجزائرية ويعمل جنباً إلى جنب مع صديقه ابن باديس ،وأخذ البشير دوره في الجهاد التعليمي، فكان يعلم التلاميذ في بلدته ويلقي بعض الدروس في المساجد ليفقه الكبار ،وفي الوقت نفسه كان يمارس التجارة وبين

1-ينظر، البشير الإبراهيمي أديباً، محمد عباس، ص95، ديوان المطبوعات الجامعية، وهران، (د، ط)، (د، ت).وينظر، البشير الإبراهيمي في عيون معاصريه، محمد الهادي الحسني، ص141، 140 ،ط ،2007.

2- ينظر، نفسه،ص141.

3- ينظر،آثار البشير الإبراهيمي ،ص11،10،وينظر ،النثر الفني عند البشير ،عبد الملك بومنجل،ص29،28، بيت الحكمة، الجزائر، الطبعة الأولى، 2005. .

الحين والآخر يلتقي بصديقه "ابن باديس"فينظمان الجهود، ويمارسان الخطط ،ويواصلان الكفاح ،وفي عام 1931تأسست جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وكان الفضل الكبير للبشير في تأسيسها.[1]

وعندما ضاقت به وبأمثاله فرنسا قررت نفيه وزجت به في السجن بقرية "آفلو" في الجنوب الغربي من الوطن مطلع الحرب العالمية الثانية ،ولم يمر على استقراره بمنفاه غير أسبوع تلقى خبر وفاة رفيقه الإمام عبد الحميد ابن باديس –رحمه الله- فتحمّل مسؤولية قيادة الجمعية غيابياً،وتولى إدارتها بالمراسلة طوال الأعوام الثلاثة التي قضاها في المنفى،فلما خرج عاد إلى نشاطه كأقوى مايكون النشاط،تعاون مع الأمة على إنشاء الدارس والمساجد والنوادي الأمر الذي أيقظ الحكومة الفرنسية فاستغلت فرصة أحداث 8ماي 1945 لتدخله السجن مرة أخرى بتهمة التدبير لتلك الأحداث فلبث في السجن سنة إلا قليلا.[2]

وفي سنة 1946استأنف نشاطه،فبعث جريدة البصائر من جديد وحمل أعباء الجمعية ،وهذا ما جاء على لسان قلمه بقوله:"كنت أقوم للجمعية بكل واجباتها وأقوم للجريدة بكل شيء حتى تصحيح النماذج ،وأكتب الافتتاحيات بقلمي وقد تمر الليالي ذوات العدد من غير أن أطعم النوم....."[3]

فالإبراهيمي عاش من أجل الدفاع عن الإسلام والنهوض باللغة العربية في هذا الوطن العزيز ،لقد كان مصلحاً دينياً واجتماعياً،أنشأ العديد من المدارس العربية أهمها معهد عبد الحميد بن باديس بقسنطينة

1- ينظر آثار البشير الإبراهيمي،ص12.

2- مجلة الثقافة، ص29.

3- ينظر، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر،عادل نويهض، ص12،13، مؤسسة نويهض للنشر، بيروت، الطبعة الثانية، 1400-1980.

،كما تولى مسؤولية جريدة" البصائر"الذائعة الصيت في المغرب والمشرق والتي كانت من أقوى الصحف دفاعاً عن قضايا العروبة والإسلام. [1]

ج)- رحلته إلى المشرق العربي:

رحل الإبراهيمي إلى المشرق في سنة 1954،وجال في أكثر من بلدانه وهذا ما أقرّ به في مجلة الثقافة يقول:"خرجت من الجزائر إلى المشرق في رحلة منظمة البرنامج واضحة القصد، وأقمت في القاهرة أسبوعاً ثم سافرت إلى باكستان فأقمت بها قريباً من ثلاثة أشهر ،استوعبت فيها زيارة المدن الباكستانية ،وألقيت في هده المدن نحو سبعين محاضرة في الدين و الاجتماع والتاريخ ،ثم رحلت عنها إلى العراق ،فاستوعبت مدنها من البصرة إلى حدود تركيا وإيران وجبال الأكراد ثم رحلت نحو ثلاثة أشهر إلى الحجاز سنة1952....."[2]ولما اندلعت نار الثورة الجزائرية التحريرية 1954، فانتدب من قبل قيادتها للقيام بمهمات لدى الدول العربية والإسلامية، فقام بها أحسن قيام، وإثر استقلال الجزائر 1962، عاد إليها وأقام بالعاصمة مريضاً، وقده الجهد والإعياء إلى أن توفى.[3]

03)- آثاره ووفاته:-

أ)-آثاره:_

عُرف الإبراهيمي بغزارة إنتاجه في فن الكتابة إلا أن ماطبع منه كان قليلاً مقارنة بما تبقى من المخطوط ،بالإضافة إلى مقالات لم يتم جردها ،وإحصاؤها نشرت له في الجرائد والمجلات الوطنية والعربية ،حيث قال عن نفسه :"لم يتسع وقتي للتأليف والكتابة مع هذه الجهود التي تأكل الأعمار أكلاً ولكنني أتسلى بأنني ألفت

1- مجلة الثقافة،ص39.

2- معجم أعلام الجزائر من صدر الاسلام حتى العصر الحاضر ،عادل نويهض،ص13،مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر ،بيروت ط1400،2-1980

للشعب رجالاً وعملت لتحرير مقولة تمهيداً لتحرير أجساده ،وصححته له دينه ولغته فأصبح مسلماً عربياً،وصححت له موازين إدراكه ،فأصبح إنساناً أبياً وحسبي هذا مقرباً من رضا الربّ ورضا الشعب".[1]

لقد كان الإبراهيمي رجلاً مصلحاً كرّس حياته لإنقاذ الجزائر من براثن الاستعمار و إحياء اللغة والدين ،ناضل من أجل إعادة الشعب إلى أصالته وحضارته ، فأخذة منه قضية الإصلاح كل وقته ،واستنزفت كل جهده فكان يحاضر ويخطب ويعلم ويرشد ويربي،ومع ذلك قد أسهم بالكتابة في موضوعات كثيرة أدبية ولغوية وإسلامية.

ترك الإبراهيمي العديد من الآثار التي تعد شاهداً على مرتبته العلمية بين الكُتاب وإن كان جزءاً منها قد عاثت فيه يد الاستعمار فساداً فضاع وبقي آخر مخطوط لم يعرف طريقه إلى المطابع يمكن تصنيف مؤلفاته في ثلاثة مجالات:-

1)- **مجال الدراسات اللغوية:-**

1)-كتاب بقايا فصيح العربية في اللهجة العامية بالجزائر، وقد التزم فيه الإبراهيمي اللهجة السائدة في مواطن بني هلال بن عامر.

2)- كتاب البقايات والنفايات في لغة العرب،جمع فيه كل ما جاء على وزن فعالة.

3)- أسرار الضمائر في العربية .

4)- التسمية بالمصدر.

5)- الصفات التي جاءت على وزن فَعَلَ بفتح العين.

6)- كتاب نظام العربية في موازين كلماتها.[2]

3- مجلة الثقافة ،ص32.

[2]- مجلة الثقافة، ص32.

وهناك كتب عبارة عن رسائل منها:-

1)- رسالة في ترجيح الأصل في بناء الكلمات العربية ثلاثة أحرف لا اثنان.

2)- رسالة في الفرق بين لفظ المطَّرد والكثير عند ابن مالك.

3)- رسالة في مخارج الحروف وصفاتها بين العربية والفصيحة والعامة.[1]

2)- في مجال الدراسات الأدبية:-

1)- عيون البصائر،وهو الكتاب الوحيد الذي طبع في حياة الإبراهيمي بعد الاستقلال.

2)- رواية كاهنة أوراس .

3)- رواية الثلاثية ،وهي مسرحية شعرية تقع في ثمانمائة وواحد وثمانين بيتاً كتبها لإبراهيمي في منفاه "بآفلو".[2]

4)- رسالة الضبّ: التي تعد قطب رحى بحثنا وعليها مدار الحديث، بحث علمي أدبي تناول فيه الإبراهيمي وصف الضبّ وفصيلته، وأسلوب حياته، ومضرب الأمثال به عند العرب،

5)- أرجوزة شعرية ،سماها "ملحمة"نظمها في السنين التي كان مبتعداً في الصحراء الوهرانية، تبلغ ثلاثة وثلاثين ألف بيت من الرجز.[3]

---

[1]- الشيخ محمد البشير الابراهيمي، بأقلام معاصريه، ص32،33.

2-ينظر، البشير الإبراهيمي أديباً، ص71،72.

[3]- ينظر، الأعلام، ص54.

* - مجلد يضم أربعة أجزاء قيدت فيه آثار الإبراهيمي.

6)- آثار الإبراهيمي: تولى بعض تلاميذه بجمعها.*

بالإضافة إلى الكتابة في هاته المجالات الثلاثة كتب الإبراهيمي في عدة فنون نثرية ،تميزت بقوة الأسلوب رآه البعض بأنه تفوق على طه حسين وذاك ما أقره صالح الحاجة رئيس تحرير جريدة الصدى التونسية :".....وما كان الرجل مواقف فقط ،كان إلى جانب ذلك قوة بلاغية متينة ومكينة،إنه يمتاز بأسلوب من النادر أنه كتب أو يكتب به المغاربة بل تشعر في أحيان كثيرة وأنت تقرأ له بأنه تفوق على طه حسين في الأسلوب إنه يكتب في أعقد المسائل أو عن أبسطها أو عن أصغرها ومع ذلك يحتفظ في كل الحالات وفي كل الموضوعات بنفس الأسلوب البياني الجميل ،لغة متينة وألفاظ منتقاة ،وجمل فيها إيقاع."[1]

ومن الفنون النثرية التي كتب فيها:- فن المقالة، فن الخطابة، فن الرسائل، السير الذاتية، أدب الرحلات .

وما نخلص إليه أن الإبراهيمي كان رجلاً مصلحاً،كرّس حياته لإنقاذ الجزائر من ويلات الاستعمار ،وإحياء اللغة العربية والدين من أجل إعادة الشعب إلى أصالته وحضارته ،فأخذت منه قضية الإصلاح كل وقته ،واستنزفت كل جهده ،فكان يحاضر ويخطب،ويُعلِّم ويرشد ويُربي ومع ذلك قد أسهم بالكتابة في موضوعات متعددة ابدعتها عصاميته وثقافته الموسوعية والسرُ كله يكمن في عظمة شخصيته، حقاً إنه فلتة من فلتات الزمان.

ب)- وفاته:-

في يوم الخميس 20 ماي 1965أسلم محمد البشير الإبراهيمي روحه الطاهرة إلى بارئها ،بعد أن ناهز السادسة والسبعين من عمره ودفن بمقبرة سيدي أمحمد بالعاصمة.[2]

1 - محمد البشير الإبراهيمي بأقلام معاصريه، ص414، دار الأمة، ط2 ،الجزائر 2007.

[2]- ينظر، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر ،ص13.

وهكذا عاش الإبراهيمي عظيماً بمبادئه وجهاده، ومات عظيماً في شموخه وثباته، كتب فيه محمد العيد آل خليفة مرثية تحمل عنوان:- أَبَتِ النفسُ أن تراك عديما، يقول فيها:-

قُم بِحقِ الإخَا وارْثِ حَمِيمَا رَاجِلاً مُخْلِصَ الوَلاءِ صَمِيمَا

صَدَّ عنكَ الذي دَنا مِنكَ وُدّاً وحَنَا عَاطِفاً علِيكَ كَرِيما

إنَّ صَدَّ البشير أَشَبَّ حَنَايا الصَّ درِ ناراً وهدّها تحطِيما

حَمَّ موت البشيرِ فاكتأب الشعبُ وأَصغى إلى النَّعِيِّ كظِيما

فَجِعت أُمة العروبةِ فِي الها دِي لمن ظلَّ نهجها المستقيماَ[1]

كما رثته الدكتورة "بنت الشاطئ"بقصيدة عنوانها:- رحل البشير،تقول فيها:-

عَلى درب الجِهَادِ التقينا

وإلى حزب الله انتمينا

وبالقَلمِ والضمِير تفَارقْنا

من قَبلِ أن يَجمعنا مَكاناً

كان قَد سبقنا بَعِيداً عَلى الدرب الوعر

مع الصحبة الأبرارِ من الجزائر.[2]

---

[1]- البشير الإبراهيمي في عيون معاصريه ،ص139.

2- مرثية كتبتها الدكتورة" بنت الشاطئ" نشرت في مجلة الجيش الجزائرية، العدد16،صفر،جوان، 1965،1385،نقلاً عن البشير الإبراهيمي في عيون معاصريه،ص159.

ج)- موقع رسالة الضب بين الرسائل اللغوية في التراث العربي:

إن المتأمل للوهلة الأولى يكاد يقطع جزماً أن البشير الإبراهيمي عاد إلى التراث العربي وأعلامه، لاسيما الجاحظ من خلال كتابه الحيوان، فتبدو رسالة الضب كأنها غلى صلة بالرسائل اللغوية القديمة في شكلها وحتى مضمونها .

كان لنزول القرآن الكريم أثر في توحيد لهجات القبائل، وأصبح لدخولها الإسلام لِزاماً عليهم أن يعلموا القرآن ويحفظوا آيه وما تحتويه من تعاليم جديدة، فكان الرسول صلى الله عليه وسلم يُفسر الآيات القرآني

ويوضح مراميها وخاصة الألفاظ التي استغلق فهمها كالغريبة. [1]

ولقد شغل الجانب الدلالي أو البحث في معاني الألفاظ اهتمام اللغويين كثيراً،الأمر الذي قادهم في البدايات الأولى للتأليف المعجمي اللجوء إلى التأليف الموضوعي،إلا أن هناك من يعدها مفتقدة لمنهجية العمل المنهجي،كما تعد جهود عبد الله بن عباس في تفسيره لغريب القرآن من عمل المعاجم اللغوية حيث فسر ما استغلق من غريب القرآن مستعيناً بالشعر.[2] حين قال:"إذا سألتموني عن غريب القرآن فالتمسوه في الشعر، فإن الشعر ديوان العرب".[3]

وقد أصبح الاهتمام باللغة ديدن اللغويين فحرصواْ على تنقية لغتهم وفصاحتها،ولاسيما بعد دخول الأعاجم في الإسلام مما أدى إلى خلط العربية بغيرها من الألفاظ الدخيلة و المعربة، فبات لِزاماً على اللغويين والنحاة جمع لغتهم لحفظها من التشويه والتحريف،فتمكنواْ من جمع اللغة من مظانها كالبوادي والأعراب الأقحاح إلى أن استقام لهم المنهج،فألفواْ الرسائل الغوية ذات الموضوع الواحد ومن أوائل من ألف فيه أبو

---

[1]- ينظر،تاريخ الأدب العربي،شوقي ضيف،ص ،دار المعارف الطبعة 2003،24.

[2]-ينظر،الظاهرة الدلالية عند علماء العربية القدامى حتى نهاية القرن الرابع الهجري، صلاح الدين زرال، ص226، منشورات الاختلاف ، الجزائر، الطبعة الأولى، 1429-2008.

[3]- الإتقان في علوم القرآن، السيوطي،1 ص12، مطبعة حجازي القاهرة، (د،ط)(د،ت).

مالك عمرو ابن كركرة الذي ألف:خلق الإنسان والخيل،وأبو خيرة الإعرابي الذي ألف في الحشرات وهما من علماء القرن الثاني الهجري.[1]

أما في القرن الثالث الهجري استمر هذا العمل ووجدت بجانبه أعمال أخرى تتمثل في كتب تجمع أكثر من موضوع في مجلد واحد كالإبل والخيل، وخلق الإنسان لأبي عمرو الشيباني، والإنسان والزرع لأبي عبيدة، والمطر والمياه والشجر لأبي زيد الأنصاري ،والخيل للأصمعي...[2]

ومما جاء في رسالة الشاة للأصمعي عن منهج الرسالة :"وجاء الكتاب بشكل حديث عام دون أن يُصنف إلى أبواب،لذا جاءت نصوصاً منه متفرقة وكان حقها أن تضم إلى مواضيع أخرى، وقد حاولت تقسيم المادة اللغوية إلى مواضيع أبواب أخرى، وقد حاولت تقسيم المادة اللغوية إلى أبواب بحسب ورودها دون أن أغير شيئاً منها .....باب حمل الغنم ونتاجها، باب أسماء أولادها، باب نعوتها من قبل أسنانها ".[3]

كما حظى فن الرسائل باهتمام كبير وازدهار عظيم، فكان الإبر اهيمي محي هذا الفن، ورافعه إلى أرقى الدرجات"وبذلك وثب الإبراهيمي فجأة بفن الرسائل في الجزائر، إلى قمة الفنون الجميلة، فمنحه أصالته العربية، بما فيها من جمال وخيال وبيان، وخلّصه من تلك الركاكة الفظيعة التي كانت تخيِّم عليهم إلى نهاية العقد الرابع من هدا القرن."[4]

تلاقت رسالة الضب كثيراً مع تلك الرسائل من حيث غزارة مضمونها وتبحر مرسلها في شتى العلوم، لكن مع كل ذلك تبقى الرسالة شكلاً من أشكال المقالات الحديثة.

---

[1]- ينظر، البحث اللغوي عند العرب مع دراسة لقضية التأثير والتأثر،أحمد مختار عمر، ص288، دار عالم الكتب، الطبعة السادسة 1988،

[2]- ينظر، المرجع نفسه، ص288.

[3]- كتاب الشاء، الأصمعي، ص25، حققه د صبحي التميمي، دار أسامة بيروت، الطبعة الأولى 1987،1407.

[4]- فنون النثر الأدبي في الجزائر، عبد الملك مرتاض،ص317، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983.

الفصل الأول

الألفاظ ودلالتها عند علماء العربية:

1) مفهوم الدلالة وأقسامها.
2) الإهتمامات الدلالية عند علماء العربية.
3) اللفظ والمعنى عند علماء العربية.

1- مفهوم الدلالة وأقسامها:

أ)- لـــــغـــــــــــــــــــــــة:

لقد ورد مصطلح الدلالة في القران الكريم في أكثر من موضع ، بمعنى الهدى والإرشاد 7 8 ﴿

وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ ´ µ ¶ ¸ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَـٰصِحُونَ Lوفي

قوله تعالى حكاية عن إبليس L s r q p o n m l k j M 8 7

وإذا تتبعنا لفظ **دل** ومشتقاتها في المعاجم العربية لألفينا دلالتها لا تخرج عن الهدى والإرشاد، ومن تلك الاستعمالات:

جاء في **المقاييس:**"إبانة الشيء بإمارة تتعلمها، يقال دَلَلْتُ فلاناً على الطريق، والدليل...الإمارة في الشيء."[1]

وإلى الشرح نفسه يذهب **الزمخشري:**"دلَّه الطريق... وأدلك الطريق اهتديت إليه...وأدَّل على قريبه وعلى من له عنده منزل"[2].

أما **ابن منظور** فقال:"ودلَّ فلان إذا هدى...دلَّ إذا افتخر ...والدليل ما يستدل به...وقد دلَّه على الطريق يدله دلالة(بفتح الدال أو كسرها أو ضمها، و الفتح أعلى."[3]

ويشير الفيروز أبادي محددا اللفظة بقوله:"دله عليه دلالة...وقد دلت عليه تدل، والدال كالهدى"[4]

ب)- اصطلاحا:-

عرفها **الراغب الأصفهاني(ت502)** بقوله:"هي ما يتوصل به إلى معرفة الشيء كدلالة الألفاظ على المعنى"[1].

---

[1] ـــ مقاييس اللغة، ابن فارس، مادة(دلل)، ص657، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (د.ط)، (د.ت).

[2] ـــ أساس البلاغة، الزمخشري مادة دلل، ص463، المكتبة العصرية، بيروت، 1426هـــ/2005م.

[3] ـــ لسان العرب، ابن منظور، (دلل)ص225، دار المعارف القاهرة، (د.ط)، (د.ت).

[4] ـــ قاموس المحيط، الفيروز أبادي، مادة (دلل)،ص 3/37، دار العلم للجميع، بيروت، (د.ط)، (د.ت).

ويقابلها في المصطلح الغربي الإنجليزي SEMANTIOUE...، وهي فهم أمر أو فهم شيء بواسطة شيء، فالشيء الأول هو المدلول والثاني هو الدال، كدلالة إنسان على معناه الذي هو الذات، فاللفظ هو الدال و الذات هي المدلول وفهم الذات من اللفظ هو معنى الدلالة[2].

أو هي:" كون الشيء بحاله يلزم من العلم به العلم بشيء آخر"[3] فالدلالة إن كان لفظا فالدلالة لفظية، وإن كان غير اللفظ، فالدلالة غير لفظية. وكل واحد منها تنقسم إلى عقلية و طبيعة و وضعية.

وتُعرف الدلالة كذالك بأنها:" دلالة الألفاظ على معانيها الموضوعة بإزائها كدلالة السماء والأرض، و الجدار على مسمياتها"

فالبحث فيها يقتضي البحث في دلالة الألفاظ، وهي علم يدرس المعنى سواء على مستوى الكلمة المفردة، أو على مستوى التركيب و ما يتعلق بهذا المعنى من قضايا لغوية، أي أنه يدرس اللغة من حيث أنها أداة للتعبير عما يجول بالمخاطر وهو فرع من فروع عام اللغة، ويعتبر على العموم من أحدث الدراسات اللغوية ظهورا الذي شق طريقه إلى الانتشار والتطور[4].

ج)- أقسام الدلالة:

قسم العلماء الدلالة انطلاقا من طبيعة العلاقة بين الدال و المدلول، إلى ثلاثة أنواع: عقلية، و طبيعية، و وضعية. فالدلالة اللفظية لا تتأثر إلا بتوفر ثلاثة أركان:اللفظ و المعنى الذي وضع لأجله اللفظ و إضافة عارضة بينهما هي الوضع.

أ ـــــــــ الدلالة الوضعية: تعرف الدلالة الوضعية بأنها:" الدلالة المتفق عليها بين الناس و التي تعارفوا عليها فيما بينهم، بمعنى جعل شيء بإزاء شيء آخر بحيث إذا فهم الأول فهم الثاني"[5]

---

[1] ـــ المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني، مادة (دلل)، ص117، تحقيق وضبط محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، (د.ط)، (د.ت).

[2] ـــ ينظر، الدلالة الصوتية في اللغة العربية، صالح سليم عبد القادر، ص23، الناشر المكتب العربي، (د.ط)، (د.ت).

[3] - التعريفات الشريف الجرجاني، ص215، مطبعة مصطفى الباني الجلي، القاهرة،(د،ط)،1357ه/1938م .

[4] ـــ ينظر، دراسات في الدلالة و المعجم، رجب عبد الجواد إبراهيم،ص11، دار غريب القاهرة، (د.ط)، (د.ت).

[5] ـــ محاضرات في علم الدلالة نصوص وتطبيقات، خليفة بوجادي، ص64، بيت الحكمة الجزائر الطبعة الثانية، 2012.

ب ـــــــــ الدلالة العقلية: تسمى كذالك الدلالة المنطقية فهي التي يكون فيها العقل أمر إدراك طبيعة العلاقة التي تربط الدال بمدلوله، نحو دلالة الدخان على النار، إذ يتم استحضار الدلالة الغائبة بحقيقة حاضرة و الذي يربط بين الأمرين هو العقل ولهذا سميت بالدلالة العقلية.

جـ ـــــ الدلالة الطبيعية: ويتم ربط بين حقيقة ظاهرة و حقيقة غائبة يتم على أساسها اقتران الدال بالمدلول اقترانا طبيعيا .[1]

2 ـــــــ الاهتمامات الدلالية عند علماء العرب:

كان البحث في دلالة الألفاظ من أهم ما لفت اللغويين العرب وآثار اهتمامهم و لعل ما بدأ به قضايا تعاقبت بالقرآن الكريم من تفسير الغريب و التأليف في الوجوه و النظائر، كما ضبطوا المصحف الشريف بالشكل وحرصوا على بيان دلالة ألفاظه باللجوء الى نقطها وشكلها، ليزداد الأمر اتساعا فوضعوا معاجم الألفاظ ومعاجم المعاني، و الرسائل الدلالية المختلفة.

أ)- دلالة الألفاظ لدى اللغويين و البلاغيين:

1) ـــــــــ اللغويون:

اهتم اللغويون العرب منذ القديم بالبحث في دلالته الألفاظ و معانيها، ومن أهم من كانت له اهتمامات نجد:

ـــــــــ الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 175هـ): وضع الخليل معجما سماه "العين" حيث تعرض فيه الشرح الكلمات مع ذكر تقاليبها، مبينا الألفاظ المستعملة والمهملة منها، و معنى كل صورة من صورها. إلا أن طريقة بحث الخليل هاته كانت لغوية إحصائية[2].

ـــــــــ سيبويه (ت 180): كانت له جهود في قضية اللفظ و المعنى من خلال كتابه " الكتاب"، فعقد لها بابا و سماه **بباب اللفظ و المعنى**، حيث يقول:" هذا باب اللفظ للمعاني" :" اعلم أن من كلامهم اختلاف اللفظين و اختلاف المعنيين"[3].

---

[1] - ينظر،علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث، ص66.

[2] ـــ ينظر، دلالة الألفاظ، ابراهيم أنيس، ص67، مكتبة الإنجلو مصرية للنشر ،ط5، 1984.

[3] ـــ الكتاب، سبويه، 24/1، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي مصر، ط2، 1977.

ثم يشير سيبويه الى المصادر التي جاءت على مثال واحد حين تقاربت المعاني، و تمثل لذلك:...بالترران والقفزان و إنما هذه الأشياء في زعزعة و تحرك، و مثله الخطران و اللمعان، لأن هذا اضطراب وتحرك، ومثله كذالك اللهبان و الوجهان، لأنه تحرك الحر و تثوره، فإنه بمنزلة الغليان[1].

ـــــــــــ **ابن جني (392ه):** تناول ابن جني من خلال كتابه**"الخصائص"** عرض عدة علائق متصلة باللفظ و المعنى، أفرد لها أبواب منها:

"باب في تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني"[2] حيث يبين لنا ابن جني في هذا الباب ظاهرة لغوية تتمثل في تقارب الحروف أو الأصوات أو الألفاظ، مما ينتج عنه تقارب المعاني. ويرى ابن جني أن مخارج حروف اللفظ التي تقترب من مخارج لفظ آخر، هما متقاربان دلاليا، و يستدل بالآية الكريمة:شرحة للفظة **"أزا"** الواردة في قوله L \ [Z Y X W V U T M 8

يقول ابن جني في قوله تعالى:"تأزهم أزا" أي:" تزعجهم و تقلقهم، فهذا في معنى تهزهم هزا، و الهمزة أخت الهاء، فتقارب اللفظان لتقارب المعنيين وكأنهم خصوا هذا المعنى بالهمزة، لأنها أقوى من الهاء، وهذا المعنى أعظم في النفوس من الهز، لأنك قد تهز ما لا بال له، كالجذع، وساق الشجر، و نحو ذلك[3].

ويوضع ابن جني في موضع آخر سماه:."**باب إمساس الحروف أشباه المعاني"** ظاهرة تقارب جرس الأصوات أو الحروف ينتج عنه تقارب المعاني، من ذلك:

- أن الألفاظ الرباعية المضعفة تأتي للتكرير، نحو: الزعزعة والقلقلة و القعقعة.
- الفعلى في المصادر و الصفات إنما تأتي للسرعة نحو البشكى و الجمزى والولقى.
- جعلوا تكرير العين في المثال دليلا على تكرير الفعل، فقالوا كسّر، قطّع، غلّق[4].

2)- البلاغيون:

تنوعت اهتمامات البلاغيين من دراسة الحقيقة و المجاز، و دراسة الأساليب كالأمر و النهي والاستفهام، إلى نظرية النظم عند الجرجاني و غيرها، ومن أهم من كانت له اهتمامات نجد:.

---

[1] ـــ ينظر، الدلالة الإيحائية في الصيغة الإفرادية، صفية مطهري، ص22، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، (د.ط)، (د. ت).

[2] ـــ الخصائص، أبو الفتح عثمان ابن جني، ص145، تحقيق محمد علي النجار، المكتبة العلمية، (د.ط)، (د. ت).

[3] ـــ ينظر الخصائص، 2/146.

[4] ـــ ينظر، المصدر نفسه،2/157.

- **الجاحظ (ت225)**

يُخصص الجاحظ من خلال كتابه"**البيان والتبيين**" –بابا للحديث عن الدلالة أسماه"**باب البيان**" و يستهله بتعرفه البيان بقوله:" والبيان اسم جامع لكل شيء كشف لك إقناع المعنى، وهتك الحجاب دون الضمير، حتى يُقضى السامع إلى حقيقته، و يهجم على محصوله كائنا ما كان من ذلك البيان، ومن أي جنس كالدليل"[1].

والبيان عند الجاحظ يشمل المعاني التي تؤدي من اللفظ أو غيره:"و جميع أصناف الدلالات على المعاني من لفظ أو غير لفظ، خمسة أشياء لا تنقص ولا تزيد:. أولها اللفظ، ثم الإشارة، ثم العقد، ثم الخط ثم الحال التي تسمى نصبة، والنصبة هي الحال الدالة، التي تقوم مقام تلك الأصناف"[2].

فالألفاظ: هي التي تبين لك المعاني في الجملة، و حقائقها في التفسير وعن أجناسها وخاصها وعامها وعما يكون منها لغوا بهرجا، و ساقطا مُطرَّحاً [3].

والإشارة:تختلف اختلافا جوهريا عن اللفظ و الخط، فهي لا تعتمد على الصوت ولا على الحبر، و إنما هي عبارة عن حركة مختصرة كرفع السيف وتحريك الحاجبين، تجعل علامة على معنى واحد أو معان كثيرة في الوقت نفسه[4].

أما الخط:يقصد به:. التعبير عن المعاني بواسطة الحروف المكتوبة والخط لا يختلف عن التعبير باللفظ، إلا في كون اللفظ يعتمد على الصوت و الخط يعتمد على الحبر، [5].

أما القول في **العقد:**. فهو نوع من الحساب يكون بأصابع اليدين[6].

---

[1] ـــ البيان والتبيين، الجاحظ،1/72، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الخامسة، 1405ه/1985م.

[2] ـــ المصدر نفسه، 72/1.

[3] ـــ ينظر، المعنى اللغوي دراسة عربية نظريا وتطبيقيا، محمد حسن حسن جبل، ص42، مكتبة الآداب، القاهرة، الطبعة الأولى، 1426هـــ، 2005م.

[4] ـــ ينظر، النظريات اللسانية و البلاغية عند الجاحظ من خلال البيان والتبيين،محمد الصغير بناني، ص82، ديوان المطبوعات الجامعية، (د.ط)، 1983م.

[5] ـــ ينظر، النظريات اللسانية و البلاغية الأدبية عند الجاحظ، ص 78،80.

[6] ـــ ينظر، نفسه، ص80، 81.

وأما **النصية:.** فهي الحال الناطقة بغير اللفظ و المشيرة بغير اليد، وذلك ظاهر في خلق السموات والأرض وفي كل صامت وناطق، وجامد ونام وزائد وناقص.[1]

عبد القاهر الجرجاني(ت 471ه):

وإذا انتقلنا الى عبد القاهر الجرجاني، نجده قد أطال القول عن اللفظ والمعنى من خلال نظرية النظم مبرزا أهمية السياق في توضيح المعنى، وأصر على الجمع بين اللفظ والمعنى ويهما يتحقق الإعجاز، عالج ذلك بطريقة أقرب إلى النحو في أحكامه، والمزية دائما ترجع إلى النظم"أعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، و يعمل على قوانينه وأصوله، و تعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها و تحفظ الرسوم التي رسمت لك، فلا تخل بشيء منها"[2].

ثم يوضع حقيقة النظم من خلال كتابه الأسرار فيقول ومن البيّن الجليّ أن التباين في هذه الفضيلة، و التباعد عنها إلى ما ينافيها من الرذيلة، ليس بمجرد اللفظ، كيف و الألفاظ لا تفيد حتى تؤلّف ضربا خاصّا من التأليف،...فلو أنك عمدت إلى بيت شعر أو فصل نثر فعددت كلماته عدّا كيف جاء واتّفق، وأبطلت نضده و نظامه الذي عليه يُبنى، و غيرت ترتيبه الذي بخصوصيته أفاد ما أفاد، نحو أن تقول في:" من الطويل قفا نبك من ذكر حبيب ومنزل"، منزل قفا ذكرى من نبك حبيب، أخرجته من كمال البيان"[3].

فصّل الجرجاني في قضية اللفظ والمعنى ورفض الفصل بينهما لشدة التحامهما:" الكلام على ضربين. ضرب آخر تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده وذلك إذا...و ضرب آخر أنت لا تصل منه الى الغرض بدلالة اللفظ وحده ولكن بدلالة اللفظ على معناه الذي يقتضيه موضعه في اللغة، ثم نجد لذلك المعنى دلالة ثانية تصل بها الى الغرض"[4].

ب-دلالة الألفاظ لدى الأصوليين و المناطقة:.

ب1)- الأصـــــــــــــــــوليون:

---

[1] ـــ ينظر، المعنى اللغوي،ص44 .

[2] ـــ دلائل الإعجاز في علم المعاني، عبد القاهر الجرجاني،ص60، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1422هـــ، 2001م.

[3] ـــ أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، ص02، قراءة وتعليق محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، (د.ط)، (د،ت).

[4] ـــ دلائل الإعجاز، ص183.

تناول الأصوليين في بحوثهم ومناقشاتهم موضوعات عدة لاستنباط الأحكام الشرعية حين أرادوا فهم النص القرآني، كما تعد قضية الاهتمام باللفظ و المعنى لدى الأصوليين مسألة قديمة، فتطرقوا إلى دلالة اللفظ و دلالة المنطوق و المفهوم و ما يتعلق بهما، و تكلموا عن الخاص و العام، وقسموا اللفظ بحسب الظهور والخفاء...

تعد محاولات **الغزالي(ت505ه)** من خلال كتابه **"المستصفى من علم الأصول"** مكنته من الإسهام في تأسيس الفكر النظري في مجال الدلالة، وقد أبان الغزالي على نحو علمي راق علاقة الألفاظ بالمعاني، و لم يخرج عن تلك المحددة قليلا عند العلماء. أفرد الغزالي في المستصفى فصلا أسما "في دلالة الألفاظ على المعاني " قسمه إلى ثلاثة تقسيمات:

- **التقسيم الأول:**.تناول فيه دلالة اللفظ على المعنى و حصرها في ثلاثة أوجه وهي: المطابقة، و التضمن، والالتزام[1].

- **التقسيم الثاني:** بين فيه دلالة الألفاظ بالنسبة بالإضافة الى خصوص المعنى و شموله، حيث قسمها الى:.لفظ يدل على عين واحدة، كقولنا:-زيد ولفظ يدل على أشياء كثيرة تتفق في معنى واحد ونسميه"مطلقا"[2].

- **التقسيم الثالث:**تناول فيه:.حصرها في أربعة ألفاظ:.المترادفة والمتباينة و المتواطئة والمشتركة[3].

الآمدي:

يشير الآمدي مرة أخرى الى الألفاظ و دلالتها من خلال كتابه"الأحكام في أصول الأحكام" بمنظور يقابل المنظور السابق، حيث انطلق من حقيقة اللفظ، وقال"أما حقيقته فهو ما دل بالوضع على معنى"[4].

فتحدث عن عموم اللفظ و خصوصه، فعرف العام انطلاقا من مفهوم الغزالي بأنه:." اللفظ الواحد الدال من جهة واحدة على شيئين فصاعدا، وهو غير جامع"[1].

---

[1] ـــ ينظر،المستصفى من علم الأصول ص1/183، أبو حامد الغزالي، دراسة وتحقيق حمزة بن زهيرحافظ، (د،ط)،(د،ت).

[2] ـــ ينظر،المصدر نفسه،ص1/93.

[3] ـــ ينظر المصدر نفسه، 1/95.

[4] ـــالأحكام في أصول الأحكام، علي بن محمد الآمدي، 35/1، تحقيق سد الجميلي، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى، 1404، 1914.

أما الخاص فهو:."كل ما ليس بعام وهو غير مانع لدخول الألفاظ المهملة فيه فإنها لعدم دلالتها لا توصف بعموم ولا خصوص"[2].

اهتم الآمدي كغيره من علماء الأصول بدلالة المنطوق و المفهوم في استنباط الأحكام الشرعية، فعرف المنطوق:." ما فهم من دلالة اللفظ قطعا في محل النطق"[3].

ثم وضع الآمدي أقسام دلالة اللفظ، ورأى بأن تكون إما دلالة لفظية أو غير لفظية، و اللفظية إما أن تعتبر بالنسبة إلى كمال المعنى الموضوع له اللفظ أو إلى بعضه، فالأول دلالة المطابقة كدلالة لفظ الإنسان على معناه، والثاني دلالة التضمن كدلالة الإنسان على في ما معناه من الحيوان أو الناطق.أما الدلالة الغير لفظية، فهي دلالة التزام حيث أن يكون اللفظ له معنى وذلك المعنى له لازم من خارج[4].

وهكذا فهم الأصوليون دلالات الألفاظ من خلال استنباطهم للأحكام الشرعية، كما نجد في كتب المفسرين دراسات دلالية غنية، و خاصة عند أولئك الذين عنوا بالجوانب اللغوية في القرآن الكريم.

ابن الأثير(ت637)

خصص ابن الأثير جزءا من كتابه المثل السائر للحديث عن الدلالة فترة يتقاطع مع الجرجاني من خلال نظرية النظم و ضرورتها في التركيب يرى أن التفاوت يقع في التركيب لأنه أسق:."وأعلم أن تفاوت التفاضل يقع في المفردات لأن التركيب أعسر و أشق"[5] يستشهد بالآية الكريمة قال تعالى M وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ L

فإن المتأمل لألفاظ الآية يجد لها ما لها من مزية و إنما ذلك يرجع إلى تركيبها، و الحسن كله يكمن في تلاقى الأولى بالثانية و الثانية بالثالثة والثالثة بالرابعة و...إلى آخرها[6].

---

[1] ــ المصدر نفسه، 1/217 .

[2] ــ المصدر نفسه، 1/218 .

[3] ــ نفسه، 3/74 .

[4] ــ ينظر، نفسه، 1/32.

[5] ــ المثل السائر،في أدب الكاتب، ضياء الدين ابن الأثير166/1 قدمه و حققه، أحمد الحوض، بدوي طبانة، دار نهضة مصر، (د.ط)، (د، ت).

[6] ــ المثل السائر، 1/ 166.

و يشير ابن الأثير في موضع آخر إلى النظر إلى المعاني لا إلى الألفاظ:." و النظر فيه هو إلى المعاني لا إلى الألفاظ، و لست أعني بذلك أن تعمل الألفاظ بحيث تعرى عن أوصافها الحسنة، بل أعنى أن مدار النظر في هذا النوع، إنما يختص بالمعاني، فرُبّ لفظ قليل يدل على معنى كثير، و رُبّ لفظ كثير يدل على معنى قليل"[1].

ب2)- المنـــــاطقة:.

إن الحديث عن جهود المناطقة حول قضية اللفظ و المعنى يقودنا حتما إلى الحديث عن **الغزالي** و جهوده من خلال كتابه"**معيار العلم في فن المنطق**". تناول الغزالي دلالة الألفاظ في المعيار بشيء من التفصيل و الأمثلة بالإضافة إلى ما قدمه في كتابه المستصفى، حيث أفرد لها ب سماه:"الألفاظ وبيان وجود دلالتها، و نسبتها إلى المعاني"[2] .

بدأ الغزالي الحديث بدلالة الألفاظ على المعاني و حصرها في ثلاثة أوجه هي:- المطابقة و التضمن والالتزام، فإن لفظ البيت مثلا يدل على معنى البيت بطريقة المطابقة، و يدل على السقف وحده بطريقة التضمن، لأن البيت يتضمن السقف و البيت عبارة عن السقف و الحيطان. أما الدلالة بطريقة الالتزام فهو كدلالة لفظ السقف على الحائط فإنه مستتبع له إتباع الرفيق الخارج عن الذات[3].

القسمة الثانية للفظ:. بالنسبة إلى عموم المعنى و خصوصه. وقسم فيه اللفظ إلى جزئي وكلي.

أما القسمة الثالثة للفظ:- في بيان رتبة الألفاظ من مراتب الوجود، "أعلم أن المراتب فيما نقصده، أربعة، واللفظ في الرتبة الثالثة:.فإن للشيء وجودا في الأعيان . ثم في الأذهان، ثم في الألفاظ، ثم في الكتابة، فالكتابة دالة على اللفظ. و اللفظ دال على المعنى الذي في النفس، والذي في النفس هو مثال الموجود في الأعيان"[4].

القسمة الرابعة:. دلالة اللفظ من حيث قسمته إلى مفرد و مركب. والمكب ينقسم إلى مركب ناقص ومركب تام.

---

[1] ــ المصدر نفسه، 2/ 68.

[2] ــ معيار العلم في فن المنطق، أبو حامد الغزالي، ص43، شرحه أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت ، الطبعة الأولى، 1410، 1999.

[3] ــ ينظر، المصدر السابق، ص 43.

[4] ــ المصدر نفسه، ص48.

أما القسمة السادسة:-في نسبة الألفاظ إلى المعاني: جعلها على أربعة منازل: "أعلم أن الألفاظ من المعاني على أربعة منازل:المشتركة و المتواطئة والمترادفة و المتزايلة"[1].

3)- اللفظ والمعنى عند البشير الإبراهيمي:

لقد تنبه الأقدمون لأهمية العلاقة بين اللفظ والمعنى في السياق،فراحوا يعقدون المجالس في ذلك والبحث المعمق في استنباط الدلالة حتى أصبح التمايز بين شخص وآخر يتمثل في القدرة على التعبير بدقة ووضوح من الأفكار والمشاعر المراد إبلاغها،والقدرة على حسن انتقاء الألفاظ وجودة التراكيب والمشاعر المراد إبلاغها، والقدرة على حسن انتقاء الألفاظ وجودة التركيب.

وهذا ما نجد له حظ عند البشير الإبراهيمي على حد تعبير،**د.عبد الله بوخلخال**،رئيس جامعة قسنطينة:"وقد كان البشير من الفرسان الذين لايشق لهم غبار في اختيار الألفاظ وتوليد المعاني الدقيقة، وفي تبليغ رسالته إلى الآخرين من أبناء أمتي وخاصة في عيون البصائر التي دارت مضامينها أساساً حول إبراز المعاني الجوهرية في النهضة العربية الإسلامية الحديثة في الجزائر،....وتعد "عيون البصائر "أرقى ماكتب الإبراهيمي من حيث فصاحة اللفظ وحسن اختياره في التركيب اللغوي والسياقي، والعناية الفائقة بتوليد المعاني."[2]

وقد قام الإبراهيمي بتحليل اسم "عبد الحي" في مقالة له بعنوان:-عبد الحي الكتاني،ماهو وما شأنه ؟ يقول الإبراهيمي في تعريف الرجل :" إذا ما أنصفنا الرجل، قلنا: هو مجموعة من العناصر منها العلم ومنها الظلم ومنها الحق ومنها الباطل، وأكثرها شر وفساد في الأرض، ثم يقول هذا الاسم المركب الذي يلتقي مع الكثير منها – أي العناصر المكونة للرجل- في اشتقاق ودلالة وضيعة"[3].

---

[1] ـــ نفسه، ص52.

3- العلاقة بين اللفظ والمعنى بين المفهوم المعجمي والاستعمال عند البشير الإبراهيمي من خلال عيون البصائر،عبد الله بوخلخال،ص62،الإمام الرائد محمد البشير الإبراهيمي،المجلس الأعلى للجزائر،2009.

[3] -عيون البصائر، الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، ص616، الطبعة الثانية، دار الأمة للنشر، الجزائر، ط2 ، 2007.

ثم يتحدث الإبراهيمي عن اعتقاد العرب في وضع الأسماء فيقول :"ومن الأسماء ما يوضع على الفال والتحيل فيضيع المحال وتضيع الحيلة، وإن اسم صاحبنا لم يصدق فيه إلا جزؤه الأول، فهو عبد لعدة أشياء، جرت على ألسنة الناس ،....وإنما هو بمعنى القبيلة كما يقال :كاهن الحي وعرّاف الحي ". [1]

ثم يقول:"قبح الله الاشتراك اللفظي فلو علم العرب أنه أتى بمثل هذا الالتباس، لطهروا منه لغتهم".[2]

وهكذا فقد كانت لعلماء العربية إسهامات واسعة في دلالة الألفاظ، وضعوا لها أصولا وأرسوا مفاهيم انبثقت من تصورهم للغة وهذا ما تجلى لنا من خلال وقوفنا على أعمال بعض الأعلام كالخليل و سيبويه وابن جني والجاحظ والجرجاني وابن الأثير والغزالي...و غيرهم، هذا ولا نغفل جهود العلماء من خلال المعاجم كابن فارس وابن منظور...والبشير الإبراهيمي الذي له جهود من خلال مؤلفاته لا يمكن إغفالها.

[1] -المصدر نفسه،ص616.

[2] -المصدر نفسه، ص617.

الفصل الثاني

مواطن الدلالة اللفظية في رسالة الضب:

1- التعريف بالرسالة.

2- تحليل الرسالة.

أ-الدلالة المعجمية.

ب-الدلالة السياقية.

ج-الاشتقاق.

د-الأمثال ودلالتها في الرسالة.

1)- التعريف بالرسالة :-

تعد رسالة الضب *رسالة مطولة كتبها الشيخ في المنفى بآفلو سنة 1940الى أحمد قصيبة (1919-1994)،ومناسبة كتابة الرسالة الرسالة كما هو واضح الشكر والامتنان بدءا على صنيع الرجل بولد الشيخ الإمام ،فالصبي بعد عودته من زيارة للشيخ قصيبة عاد بهدية مميزة ضباً محنطاً.

ومما جاء في آثار الإمام محمد البشير:"وجه الإمام هذه الرسالة الى تلميذه الأستاذ أحمد بن أبي زيد قصيبة في مدينة الأغواط، بعد أن أهدى هذا الأخير ضباً محنطاً للطفل أحمد نجل الإمام، وكان ذلك بتاريخ 11شوال 1359ه (نوفمبر 1940)".[1]

لقد عنون الإبراهيمي رسالته ب"رسالة الضب"،ولم يقل رسالة في الضب،أو رسالة حول الضب...فالعنوان شاكل طريقة الترسل العربي القديم ك"رسالة الغفران"للمعري ورسالة "التربيع والتدوير" وللجاحظ....كما جاء هيكل الرسالة مكون من مقدمة طويلة قسمها إلى ثمانية فصول وخاتمة موجزة شحنها بمعلومات غزيرة في علم الحيوان والنبات والفلك والفلسفة واللغة الأدب معتمداً على ثقافته الواسعة،فهي رسالة علمية أدبية .[2]يقول مثلاً في علم الحيوان:"...وليس لأمة من الأمم مالهم في وصف الحيوانات الضارية،وإن أمم الحضارة على وفرة أدواتها لم تدرس الضواري إلا بعد أن دجنتها،وفاتهم أن التدجين يذهب بالكثير من الخصائص

الطبيعية، فيفوت بذلك على الدارس الكثير من النتائج....وتقاربت الغرائز في الجو الحيواني الوسط فصدق الوصف وحق التصوير، ولو لم يكن العبي أمياً وكان ممن يدرس الأشياء على المناهج العلمية لأتى العالم بالمعجزات."[3]

ويقول في علم اللغة راداً على أولئك الذين يرمونها بالضيق والقصور ويصفونها بالنقص:"...ولو علموا أو حفظوا فصلاً واحداً مما وضعته العرب لجماعات الحيوان وطوائفه،كالآجل والرجل والسرب والعابة

---

* - رسالة الضب ضمن آثار الإبراهيمي،من ص40-52،ج2.

1- رسالة الضب،ص40.

2 -ينظر، النثر الفني عند البشير الإبراهيمي،ص53.

3 - رسالة الضب،ص41.

والقطيع إلى آخر هذا النوع،أو لأصواتها -وما أكثرها- لأشرفوا على بحر لجي يجدون عنده رطانتهم ضحضاحاً،لا يعمر كف الساق،ولو علموا أن العرب تقول خطيب وعوع فيكون مدحاً وخطيب وعواع فيكون ذماً، ولهم في كلمة مرمى من الاشتقاق مصيب ..."[1]

كما نجده يستشهد بأبيات الشعر وعباراته من الأمثال يدعم بها مايأتي من المعلومات والأخبار ويكشف سعة علمه ومعارفه،ويعتذر لما نسى من ذلك "وفي مقصورة ابن دريد، بيت مختومة بضب الكدى،ولا أذكرها الآن وليس عندي ما أراجعها فيه ".[2]

كما جاءت الرسالة مشحونة بالعديد من الأمثال التي قيلت في الضب مع شرحها، مثل:- هذا جحر ضب خرب، أعقد من ذنب الضب، أعق من ضب،أحير من ضب....

وبالرغم من غزارة المعلومات التي وردت في الرسالة، وكونها قديمة على نهج القدماء فإن الإبراهيمي كان مجدداً "قوي الشخصية لا يقلِّد ،قوي التفكير، يناقش الأمور بعقل فاحص، وفكر ثاقب وإدراء كامل...."[3]

2)- تحليل الرسالة:-

أ)- الدلالة المعجمية:

لقد اعتنى الإبراهيمي- في رسالته -بالمعنى المعجمي لبعض المفردات التي قد يجد المتلقي صعوبة في ما ترمي إليه، فكان يأتي بالمفردة ويبحث عما يقابلها في المعاجم دون ذكر المعجم الذي يعتمده، ومن تلك المفردات نجد:-

---

[1]- المصدر نفسه،ص42.

[2]- المصدر نفسه، ص44.

[3]- فنون النثر الأدبي في الجزائر،ص317.

الكُدى:

أشار الإبراهيمي في رسالته أن المفردة هي جمع (كُدية) ثم أتى بمعناها المعجمي الذي هو:جبيل صلب متماسك التراب، ولذلك يضيفونه إليها كثيراً، فيقولون:ضب الكُدية.[1]

جاء في **لسان العرب لابن منظور** :"...الكُدية :الشدة من الدّهر، والكُدية الأرض المرتفعة، وقيل هو شئ صلب من الحجارة والطين،...الكُدية هي الأرض الغليظة وهي الصفات العظيمة الشديدة، الارتفاع من الأرض، وضباب الكُدى، سميت بذلك لأن الضِّباب مولعة بحفر الكُدى، ويقال ضبٌّ كُدية، وجمعها كُدى."[2]

والمعنى نفسه يشير إليه **صاحب أساس البلاغة:**"....أكدى الحافر، بلغ الكُدية، وهي صلابة الأرض."[3]

وإذا تتبعنا الكُدى في المعاجم لألفينا دلالتها لا تخرج عن معنى الأرض الصلبة، وهذا ما أشار إليه البشير حين أراد شرح اللفظة.

الكُشى:- لم يخالف الإبراهيمي أصحاب المعاجم حين رأواْ أن الكُشى هي شحمة الضّب.

جاء **في الرسالة** :"الكُشى،جمع كُشية وهى شحمة مستطيلة في الضّب ،يقول آكلة أنه لا ألذ منها..."[4]

والمفهوم نفسه ذهب إليه **صاحب اللسان** :" الكُشى ،جمع كُشية ،وهي شحمة كلية الضّب..."[5]

كما عرّفها صاحب **المنجد في اللغة** :" الكُشية جمع كُشى ،شحمة بطن الضّب أو أصل ذنبه ."[6]

ويعرِّفها **الزمخشري في أساس البلاغة** :"أكل كُشية الضّب ،وهي شحمة مستطيلة في جنبه ."[1]

1-رسالة الضب،ص44.

[2]– لسان العرب، مادة (كدا)، ص3837،مج5.

[3]- أساس البلاغة ،مادة (كدى)، ص724.

[4]- رسالة الضب ،ص47.

[5]- لسان العرب ،مادة (كشا) ،ص4880،مج5.

[6]- المنجد في اللغة والأعلام ،شركة الطبع والنشر اللبنانية "خليل الديك وأولاده"،مادة (كشى)، ص1415، دار المشرق بيروت ،(د،ط)، (د،ت).

[7] -أساس البلاغة، مادة (كشى)، ص789.

الوجين:-

جاء قي الرسالة :"الوجين :-هو الأرض الصلبة الغليظة، ومن هذه الكلمة جاء قولهم :رجل موجّن ،قوي عظام الأضلاع والصدر، ومنها ميجنة الثياب،آلة تُدق بها، ومنها جلد موجّن: مضروب بعد الدبغ حتى تتداخل أجزاؤه وتلطف فتلين مع القوة ."[2]

كما ورد عن **ابن منظور في اللسان:**" وجن من الوجنة، ما ارتفع من الخدين للشّدقِ مالمحجرِ....أو هو ماانحدر من المحجر ونتأ من الوجه ،و الوَجْنُ و الوَجَنُ والوجين والواجِنُ ،أرض صلبة ذات حجارة....والوجَنُ الدّقُ،والميجنة مدقة القصّار ".[3]

كما ذكر **الزمخشري في أساس البلاغة :**" وجَنَ: ناقة وجناء :عظيمة الوجنتين أو صلبة من الوجين وهي الأرض الغليظة، ورجل موجن إذا قوية منه الأعضاء وعظمت، ووجن الوتد، ووجن الثياب توجيناً بالميجنة ،ووجنة به الأرض:ضربت به، ووجن الدّباغ الجلد: ضربه ودقه ليلين.[4]

وبالتالي فالبشير يبدو لنا من خلال رسالته ذا رصيد لغوي ثري،مهتم بالمعاجم ، وليس ذلك فقط، بل اعتنى بحفظ معاني المفردات كيف لا وقد كتب الرسالة وهو في المنفى بعيداً عن الكتب والمعاجم .

ب)- الدلالة السياقية:-

لقد ورد ت في الرسالة بعض التراكيب التي يبدو عليها انزياح وخروج عن المألوف الى معاني مجازية ومن تلك التراكيب نجد :

*** فاعلم أن الصحراء لبستهم ولبسوها[5].**

اللبس في اللغة :-

جاء في لسان العرب :"اللُّبسُ بالضم مصدر قولك :لَبستُ الثوبَ أَلبَسُ، واللِباس، ما يُلبَسُ، وكذلك

---

[2]- رسالة الضّب، ص45.

[3]- لسان العرب مادة وجن ص4774،مج 6.

[4]- أساس البلاغة ، مادة وجن، ص 891.

[5] - رسالة الضب ،ص42.

المَلبسُ واللُبسُ".[1]

وعرّفه **الزمخشري** قائلاً:"لبِس الثوب لُبساً وتلبَّس بلباس حسن ولباساً حسناً وعليه مَلبس بهيٌّ، ولَبوس من ثوبٍ أو دِرع وعليهم ملابسُ ولُبسٌ."[2]

يشير إلى علاقة العرب بالصحراء، وشدة التحامهم بها حتى ألفتهم وألفوها،ولتبيان هاته الحقيقة،استعمل الإبراهيمي الانزياح والعدول عن المألوف حتى تكون أكثر بلاغة وإيضاحا، فشبه الصحراء بإنسان يرتدي لباسه فحذف المشبه به (الإنسان) وبقى على أحد لوازمه (اللباس) على سبيل الاستعارة المكنية، وكذلك الحال في عبارة لبسوها، حيث شبه الصحراء بالباس والعرب هي من اختارت رداءه.

*** وإنه لممضوغ بكل لسان، ممجوج على سن كل قلم :**[3]

المج في اللغة:-

ورد في **لسان العرب:**" مجَّ الشراب والشئ من فيه يَمُجُّه مَجّاً، ومَجَّ به رماهُ....ومجاجة الشئ عُصارته ."[4]

وينحى المنحى نفسه **الزمخشري** قائلاً :" مجّ الماء من فيه، وشيخ ماجٌّ : هرم لايمسك ريقه ".[5]

تحدث الإبراهيمي عن شهرة المثل العربي "أعقد من ذنب الضّب " وبين بأنه أشهر من "قفا نبك ...." وكيف هو ممضوغ بكل لسان، ممجوج على سن كل قلم ."[6]

استعمل الإبراهيمي الانزياح حين أراد تبيين حقيقة شهرة المثل العربي حيث قال: أنه ممجوج على سن كل قلم، شبه القلم بكائن حيّ لديه أسنان وحذف المشبه به وبقى على أحد لوازمه (المجّ) على سبيل الإستعارة المكنية.

---

[1] - لسان العرب، مادة (لبس)، ص4982، مج5 .

[2] - أساس البلاغة، مادة (لبس)،ص749.

[3] - رسالة الضب، ص43.

[4] - لسان العرب مادة (مجج)، ص4138، مج6 .

[5] - أساس البلاغة، مادة (مجج)،ص781.

[6] - ينظر ، رسالة الضب ،ص43.

* قال الشاعر :وَيَحفِرُ في الكُدى خُوف انْهِيارٍ وَيجْعَلُ بَيتِه رَأس الوَجِينِ[1]

الوجين: تقدم التعريف باللفظة .

المراد بالوجين :الأرض الصلبة الغليظة، ولها اشتقاقات عديدة، منها: (رجل موجن :قوي عظام الأضلاع والصدر ، وميجنة الثياب آلة تُدق بها ،وجلد موجّن :مضروب بعد الدبغ).[2]

فمن خلال المشتقات نستشف أن كلمة الوجين تدل على القوة والصلابة ،كما يعد البيت الذي ساقه الإبراهيمي في رسالته شاهداً على حقيقة مردها أن "ليس جحر ضب خرباً" بل يختار الأماكن الصلبة لسكناه مخافة الانهيار والخراب ،وهذه كناية على قوتها وعدم انهيارها وخرابها.

وعليه فحسن اختيار الألفاظ وتراكيبها ، وحسن مجازها لا يتأتى إلا من شخص عارف بعلوم البلاغة ،متمكناً من حسن الصياغة متبحراً في علوم اللغة ، حافظاً لكتب المصادر ، وهذه ميزة شيخنا محمد البشير الإبراهيمي .

ج)- الإشتقاق:

الاشتقاق وسيلة أخرى من وسائل نمو اللغة، فالعربية توصف بأنها لغة اشتقاقية، وهو أخذ كلمة من كلمة أو أكثر مع تناسب بينهما في اللفظ والمعنى، أو هو أخذ كلمة من كلمة أو أكثر مع تناسب بينهما في اللفظ والمعنى،[3]أو توليد بعض الألفاظ من بعض والرجوع لمسميات جديدة إلى واحد يحدد مادتها ويوحي بمعناها المشترك الأصيل مثلما يوحي بمعناه الخاص الجديد وبذلك تنمو اللغة وتتغير في اختراع أسماء جديدة لمسميات مستحدثة لم يكن لها ذكر عند العرب .

ينقسم الإشتقاق إلى أربعة أقسام: الإشتقاق الصغير أو الأصغر، الإشتقاق الأكبر، الإشتقاق الكبير، الإشتقاق الكبار. [4]

لقد احتوت الرسالة على بعض الإشتقاقات منها:

---

[1] - المصدر نفسه، ص45.

[2] -ينظر المصدر نفسه،ص45.

[3] - ينظر، الإشتقاق، ابن دريد ،ص26،تحقيق ع السلام هارون، مكتبة الخانجي، مصر، (د،ط)،(د،ت).

[4] - ينظر، قضايا الدرس اللغوي، نادية رمضان، ص98، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية، (د،ط)، 2001-2002.

***- خطيب وعوع فيكون مدحاً، وخطيب وعواع فيكون ذماً[1]:**

فلفظتي وعوع ووعواع كلاهما ينحدر من فعل أصله وعع، فلفظة "وعوع" جاءت على وزن فعول وهي الصفة المشبهة للفعل، جاءت تفيد المدح "فيقال خطيب وعوع فيكون مدحاً ".أما وعواع :جاءت على صيغة المصدر للفعل وعع، ووعواع يراد بها ذم "رجل وعواع نعت قبيح ".[2]

ومن بين الإشتقاقات التي وردت في الرسالة لفظة "الوجين " ذكرت مع مشتقاتها وهي:- تعني الأرض الصلبة الغليظة ،ومنها:

الوجين :-رجل موّجن (اسم)، قوي عظام الأضلاع والصدر ./ ميجنة (اسم آلة) الثياب، آلة تدق بها./ جلد موجّن (صفة)، مضروب بعد الدبغ .ومنه نستنتج فكل من المشتقات اتفقت مع لفظة" الوجين " في الشدة والقوة.[3]

د)- الأمثال ودلالتها في الرسالة:

المثل في اللغة:

جاء عن ابن **منظور في اللسان:**"مثل : كَلِمة تسوية ، يقال هذا مِثلُهُ ومَثَلُهُ ،كما يقال:شِبهُهُ وشَبَهُهُ "[4]

ويعرفه الزمخشري قائلاً:"مَثَّلهُ به شبهه، وتمثل به :تشبه به ،ومثَّل الشئ بالشئ، سوى به وقُدّر تقديره ".[5]

أما في الإصطلاح :

المثل حكاية موجزة بسيطة رمزية في الغالب، وهي ذات مغزى أخلاقي، وقد تكون على لسان الحيوانات كما في كتاب (كليلة ودمنة) .أوهو كلام من نثر أو شعر، يطلق في الأصل لذاته أو لمناسبة خاصة ثم يُردد من بعد مثالاً لما يشبهه من معانٍ أو حالات .[1]

---

[1] - رسالة الضب، ص42.

[2] - لسان العرب، مادة(وعوع)، ص913.

[3] - ينظر ،رسالة الضب،ص45.

[4] - لسان العرب ،مادة (مثل)، ص4136،مج6 .

[5] - أساس البلاغة، مادة (مثل)، ص781.

يرجع مرد اهتمام الرواة والمصنفين بالمثل إلى أسباب لا تختلف عن أسباب الاهتمام بالشعر وسائر كلام العرب، ولكون المثل شاهداً على كلام العرب يصِّح الإحتجاج به على صحة اللغة وعلى وجوه تصاريفها وغرائبها، أضف إلى ذلك أن المثل مادة تعليمية تصلح لتربية النشئ من وجوه شتى، وجد القصاصون المسامرون في قصص الأطفال مادة للسمر ولاستعادة بعض أحاديث العرب ومآثرها، وكل هذا يشير إلى شدة حضور المثل من وجوه مختلفة عند طوائف وطبقات متعددة شاركت جميعها في تداول الأمثال وأخبارها وفي الإهتمام بتدوينها وحفظها .[2]

لقد حمَّل الإبراهيمي رسالته جملة من الأمثال لاسيما التي قيلت في الضب منها:

***"أعقد من ذنب الضب "** [3]

قالوا: إن عقده كثيرة، وزعموا أن بعض أهل الحاضرة كسا إعرابيا ثوباً، فقال له :لا كافئتك على فعلك بما أُعلِّمك، كم في ذنب الضب من عقدة ؟قال:لا أدري، قال فيه أحد وعشرون عقدة.[4]

***"ضل الدريص نفقه"**[5]

جاء في لسان العرب:" الدِّرْصُ والدَّرصُ :ولد الفأرة واليربوع والأرنب والهرة...،والجمع دِرصَةً وأدراصٌ ،ومن أمثالهم في الحجة إذا أضَلَّها العالم : ضل الدُّرَيْصُ نفقه :أي جُحْرَهُ ، وهو تصغير الدِّرصُ، يضرب مثلا لمن يعيأ بأمره ."[6]

ويضرب مثلا للرجل لا يهتدي لأمر يريده فيسلك غير طريقه، وأصله الدريص، ولد اليربوع يَطلُبُ صيده فلا يهتدي إلى النافقاء فيصيده الصائد، وذلك أن اليربوع يتخذ أربع جحر نافذة بعضها إلى بعض، ثلاثة

---

[1] - ينظر، المعجم المفصل في اللغة والأدب ، نحو ، صرف ، بلاغة ،عروض ...،اميل بديع يعقوب، ميشال عاصي، ص225، دار العلم للملايين ، بيروت، الطبعة الأولى سبتمبر ،1987.

[2] - ينظر، الأمثال العربية القديمة، دراسة أسلوبية سردية حضارية، أماني سليمان داود، ص19، دار الفارس للنشر، الأردن، الطبعة الأولى، 2009.

[3] - رسالة الضب،ص43.

[4] - يبظر،مجمع الأمثال ،أبي الفضل أحمد بن محمد الميداني،ص2/945،تح،أبو الفضل ابراهيم، دار الجيل، بيروت، ط2، 1407،1987. وينظر،المستصفى من أمثال العرب، الزمخشري، ص1/250،دار الكتب العلمية ،بيروت،ط2، 1987.

[5] - رسالة الضب، ص43.

[6] - لسان العرب،مادة(درص)،ص2/1428.

منها لها مخرج إلى وجه الأرض لكنه يحفره حتى يبقى في رأس الجحر قشرة خفيفة من وجه الأرض، فإذا أتى من أتى الجحر الثلاث و لم يمكنه الخروج فيقصد النافقاء، فضرب تلك القشرة الباقية برأسه فأزالها وخرج منها، فإذا دهش لم يهتدى الدريص إلى ذلك صِيدَ.[1]

***" أحير من ضب "**[2]

يضربون به المثل في الحيرة، لأنه إذا فارق جحره لم يهتد للرجوع فيتحيَّر ،وقيل أنه إذا فارق جُحره وضع حجراً عند الباب ليهتدي به، فإذا أزال الصائد حيَّره وأخذه[3]. ويزعمون أن في طبعه النسيان والحيرة وعدم الهداية ولذلك يحفر جحره عند صخرة أو في أكمه لئلا يضل عنه إذا خرج لطلب الطعام، ولذلك تكون براثينه كليلة من حفرِه الكُدى والأماكن الصلبة .[4]

*** "أعق من ضب "**[5]:

أرادواْ به ضبة، وعقوقها أنها تأكل أولادها ذلك أن الضبة إذا باضت حرست بيضها من كل ما قدرت عليه من ورل وحية وغير ذلك، نقبت أولادها وخرجت من البيض ظنتها شئ يريد بيضها فوثبت تقتلها فلا ينجو منها إلا الشريد، وهذا مثل وضعته العرب في موضعه.[6]

*** "تخلصت قائبة من قوب"** [7]

يدل هذا المثل على بيضة تخلصت من فرخ، ويضرب مثلا للرجل يفارق صاحبه، والقائبة هي البيضة ، القوب هو الفرخ فيقال قاب الطائر بيضته،إدا فلقها .[8]

---

[1] - ينظر، معجم الأمثال العربية،خير الدين شمس باشا،2/1428، حرف (الضاد)، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى 1423،2002.

[2] - رسالة الضب، ص49.

[3] - ينظر، مجمع الأمثال، ص2/945.

[4] - ينظر موسوعة الأمثال"الدرة الفاخرة في الأمثال السائرة" لحمزة الأصفهاني، ص179،تحقيق،قصي الحسين، دار الهلال، بيروت، ط1، 2003.

[5] - رسالة الضب، ص49.

[6] - ينظر، مجمع الأمثال، ص2/297.

[7] -رسالة الضب ،ص43.

[8] - فصل المقال في شرح الأمثال،أبو عبيد البكري، ص1/436، تح إحسان عباس،مؤسسة الرسالة ،لبنان،(د،ط)،1971.

لقد زين الإبراهيمي رسالته بالعديد من الأمثلة العربية المختلة المجالات،أفرد لها الكثير من الجهد والإعياء ،كما اتخذ واحدة من هذه الأمثلة عتبة للتشكيك في قضية نحوية سائرة ألا وهي الجر بالمجاورة أو التبعية،إذ يقول عن المثل "هذا جحر ضب خرب"[1]،أنه مثل فج صامط ،لأنه لا يتفق – حسب زعمه – مع العربية الشائعة، وهذا فصل في الأدلة والبراهين، لاكن ما استوقف الدارسين * أنه: كيف يهدم المثل وهو مسموع من النحاة العرب،كما ورد في الكتاب :"وقد حملهم على قرب الجوار على أن جر هذا جحر ضب خرب ونحوه".[2]

وقد فنّد الإبراهيمي تهديمية للقاعدة النحوية انطلاقا من أمرين، الأول :أن نطق العرب لا يساعد على ما ادعاه النحاة فيه،لأن كلمة خرب التي يدعي النحاة جرها جاءت مقطعا في الجملة و لم تعقبها كلمة أخرى، فإذا نطق بها عربي ساكنة الآخر بلا شك، فمن أين يظهر الجر الذي أدعوه فيها؟

والثاني: أن معنى المثال على برودته وجفافه لا يتفق مع ما ما يعرف العرب عن الضب من أنه لا يحفر إلا في [3]الكُدى . ويستشهد بقول ابن دريد في مقصورته،مختومة بضب الكدى:

مَاخِلْتُ أَن الدّهر يُثني على صَراء لا يرضى بها ضَبُّ الكُدى[4]

وبناء على الحجج التي جاء بها، ساق لنا الإبراهيمي مثال طبي خاطئ اتخذته الناس على محمل الجد "لا تأكل السمك لا تأكل السمك وتشرب اللبن" وبين كيف لعب به الزمن وتعاوره، حتى أصبح الجمع بين السمك واللبن الذي درج الناس على تلاقيه ظناً منهم بخطورته، فيقول:"وما هو من الطب ولا قاله طبيب".[5]

وهكذا بالرغم من تشكيك الإبراهيمي في صحة المثل العربي الشهير إلا أنه ختم قوله بتواضع علمي، إذ يقول ضارباً كل الحدود النحوية القديمة وهو من شذوذ اهم اللغوية وانحرافاتهم عن لغتهم.[6]

---

[1] - رسالة الضب،ص44.

*- ابن جني في الخصائص، التبريزي في شرح القصائد العشر، ابن هشام في شرح قطر الندى وبل الصدى، .....

[2] - الكتاب 1/437.

[3] - ينظر، رسالة الضب،ص44-46.

[4] - ديوان ابن دريد، وشرح مقصورته للخطيب التبريزي، ص139، دار الكتاب العربي، بيروت، 1424،2004.

[5] - رسالة الضب، ص46.

[6] -ينظر، رسالة الضب للبشير الإبراهيمي(مقاربة وصفية تحليلية)، بكوش حورية، ص، ملتقى وطني حول إسهامات علماء الجزائر في الدراسات اللغوية والأدبية، 70/60/مارس 2012.

وبالتالي فالرسالة تضمنت مجموعة من الأمثال التي قيلت في الضب في مختلف الأحوال، كالحيرة والتعقيد والعقوق ...وكيف اتخذ من أحدها باباً للشك والتهديم إن صح القول وهذا راجع إلى أهمية الأمثال ومكانتها في الاستشهادات عند العرب.

وما نخلص إليه أن رسالة الإبراهيمي تعد بحثاً أدبياً علمية ودلك لما احتوت عليه من شرح لبعض المفردات شرحاً معجمياً يتوافق مع المعاجم العربية، كما احتوت الرسالة على انزياحات واشتقاقات، أضف إلى ذلك أنها جاءت مثقلة بالعديد من ال'مثال تضمنت قضايا نحوية وطبية واجتماعية وغيرها، مفنداً آراءه بمجموعة منالأشعار والأحاديث وأقوال العلماء، وهكذا كله راجع إلى تبحر الإبراهيمي وإلمامه بمختلف العلوم.

خاتمة

أخيراً ومن خلال مسيرة بحثنا هذا والمتمثلة في الوقوف على جهود قطب من أقطاب الجزائر في ميدان البحث في دلالة الألفاظ من خلال رسالته يمكننا أن نخرج بجملة من النقاط تمثلت في :

- يعد الإبراهيمي طاقة إبداعية أصيلة نادرة، حافظاً للمصادر، عارفاً بعلوم اللغة متشبع بالثقافة القرآنية، مهتم بالإصلاح، كرّس حياته من أجل استرجاع السيادة الوطنية.

- تنوعت تآليف الإبراهيمي لتشمل عدة مجالات، وهذا التنوع مرده إلى إطلاعه الواسع على شتى العلوم.

- إن ما أهل الإبراهيمي لبلوغ هذا المستوى من المكانة الأدبية موهبته أولاً وثقافته القرآنية الواسعة ثانياً، ومشاعره اللطيفة الخالصة تجاه لغته ودينه ووطنه.

- يعد الإبراهيمي أحد المهتمين بفن الرسائل وباعثه من جديد ورافعه إلى أرقى الدرجات، مقتفياً آثار سابقيه كالجاحظ والهمذاني وغيرهم .

- من أهم ما تميزت به الرسائل هو التنويع والتوسيع في العلوم كعلم الحيوان والطب واللغة والنحو....أضف إلى ذلك زخرفة الرسالة بالأمثال الشعبية.

- بالرغم من غزارة المعلومات الواردة في الرسالة إلا أن شخصية الإبراهيمي تبدو قوية بعيدة عن التقليد .

- رسالة الضب تعد بحثاً علمياً أدبياً وذلك لما اشتملت عليه من سرح معجمي لبعض المفردات وما تضمنت من انزياحات واشتقاقات، كما تضمنت الرسالة قضايا طبية.

تلك خطفة عابرة موجزة لأهم الدلالات اللفظية أو حول دلالة الألفاظ التي وردت في الرسالة، هذا وتحتوي الرسالة على جوانب أخرى كالأسلوبي والتركيبي وتناصات ومسائل نحوية وحتى طبية بحاجة إلى من ينفض عنها الغبار، ولعلنا نكون قد أمطنا النقاب عن جانب مما تحتويه الرسالة لتكون دراستنا نقطة بداية لبحوث ودراسات تستوفي جميع جوانب الرسالة.

ملحق

رسالة الضبّ*

بسم الله الرّحمن الرّحيم

حضرة الفيلسوف ولدنا الأستاذ أحمد بن أبي زيد قصيبة حفظه الله...

وما زلت أنعتكم في رسائلي إليكم بالفيلسوف تنادرًا ومباسطة وتظرفًا، وأنا لا أجهل أنكم تنطوون على شمائل فيلسوف أو تحملون روحه بالتعبير العصري، حتى جاءت هديتكم لأحمد على يدي وهي عبارة عن ضبّ وورل محنطين بالنخالة لا بالموميا، فعاتبتكم – فيما أذكر – عتاب مغفل بما معناه:

أني شببت عن طوق هذه الأحناش، وما كان ذلك العتاب إلا عنوانًا على غفلتي في ذلك الوقت – على الأقل – ثم فاء علي عازب عقلي وضائعُ فكري، ووضعت الضبّ أمامي وتأملت خلقته مرّات في أيام، فوالذي خلق الضبّ والدب، وأنبت النجم والأبّ، فخلق النوى والحب، لقد أذكرني ضبّكم بما كنت أحفظه عما قيل في الضبّ وعلى لسانه، وما ضرب من الأمثال المتعلقة به، ما لو خلعت عليه أيام الصبا جددًا، ونفضت عليه ماء الشباب مدادًا ومددًا، لم أكن لأذكره.

فقد كان هذا الحيوان محظوظًا عند العرب دون كثير من الحيوانات الجزرية فدرسوا ظاهره وباطنه، وعرفوا طباعه فأكثروا فيه القول حتى بلغ هيامهم به، وتمنطقهم بذكره أن نحلوه بعض الخصائص الإنسانية، وزادوا فنحلوه فضيلة لا توجد في الإنسان ولا في غيره من الحيوان كما ستسمع.

---

* وجّه الإمام هذه الرسالة إلى تلميذه الأستاذ أحمد ابن أبي زيد قصيبة في مدينة الأغواط، بعد أن أهدى هذا الأخير ضبًّا محنّطًا للطفل أحمد نجل الإمام، وكان ذلك بتاريخ 11 شوال 1359هـ. (نوفمبر 1940).

والحق أن الضب حيوان عربي جزري، ولا تقل إنه صحراوي وأن الصحراء ليست خاصة بالعرب، فإن هذه الصحراء التي هي آية من آيات الله في أرضه، أو هي باب الفلسفة من هذا الكتاب الأرضي لم يعمرها الله بأمة تشرّبت معانيها، وتغلغلت في دقائقها، ولاءمت روحُها روحَها مثل الأمة العربية، وسل التاريخ ينبئك، فهو لم يعرف أمة خلعت عليها الصحراء فطرتها وأفرغت عليها افراغًا سابغًا غير الأمة العربية.

ومن ههنا جاشت نفوس العرب وتفتقت قرائحهم عن روائع الفلسفة الوصفية للصحراء وأرضها وسمائها وليلها ونهارها وأغوارها وأنجادها وبراريها القاحلة وشجراتها ومعايشها وقيظها وصرّها وحيوانها ونباتها، وليس لأمة من الأمم ما للعرب في وصف النجوم حتى قربتها تشبيهاتهم إلى الإدراك البشري، واعتبر ما قالوه في سهيل والجوزاء والسماكين الأعزل والرامح والثريا والخضيب والدبران والنسرين الواقع والطائر على كثرة النجوم وكثرة ما قالوه فيها، وإذا كانت النجوم لا تحصى عدًا، فقل ذلك فيما قالته العرب فيها. ومن بدائع تشبيهاتهم في النجوم أخذ المعري تلك المنازع الغريبة وتلك النظرات الفلسفية البعيدة الغور المنبثة في لزومياته، وهي باب على حدة من فلسفته الكونية وما نبع ذلك الزلال ونبغ ذلك السحر الحلال إلا مما تركه العرب من تشبيهاتهم لها وتخيلاتهم فيها. وانظر أوصافهم البديعة لظلمة الليل وروعته وأثرها في نفوسهم وقارن ذلك بوصفهم للنجوم ينكشف لك بعض السر من تلك النفوس وارتباطها بكونها وامتزاجها به، ولا أبعد إذا قلت إنه ليس للأمم مجتمعة ما للعرب في هذا الباب.

وليس لأمة من الأمم ما لهم في وصف الحيوانات الضارية، وان أمم الحضارة على وفرة أدواتها لم تدرس الضواري إلا بعد أن دجّنتها، وفاتهم أن التدجين يذهب بكثير من الخصائص الطبيعية لها فيفوت بذلك على الدارس كثير من النتائج، واعتبر ذلك بتدجيننا – ونحن بشر – كيف اغتال خصائصنا ومقوّماتنا، ومسخ معنوياتنا حتى أصبحنا أحط من بعض أنواع الحيوان. أما العرب فخالطوا الضواري في أغيالها واقتحموا مآسد خفان والثرية وترج وغيرها وذللت أرضها أقدامهم، ومنهم من عايش الضواري حتى ألفها وألفته وجمع بينهما عالم كعالم المثال عند الصوفية، فلطفت في السبع سورة السبعية وشرتها وامتدت في العربي الميزة الحيوانية، وتقاربت الغرائز في الجو الحيواني الوسط فصدق الوصف وحق التصوير. ولو لم يكن العربي أميًا وكان ممن يدرس الأشياء على المناهج العلمية، لأتى العالم بالمعجزات.

وليس لأمة من الأمم ما للعرب في وصف الحشرات والزواحف والإلمام بطبائعها ووجوه تصرفاتها وسعيها في معائشها وتناسلها ودراسة ما بينها من امتزاج وتنافر، وصف عن عيان ودراسة في الجو الطبيعي.

وليس لأحد ما لهم في وصف النبات والشجر، وتحليل مكاسرها بالعجم والغمز، وتحقيق طعومها وخصائصها وتقسيم أنواعها وتسمية مفرداتها من شَثّ وطباق وآء وتنوم وثمام وشيح وقيصوم ثم غرب وشويط ونبع وسراء ومرخ وعفار، إلى غير ذلك مما بلغوا في تصويره في أشعارهم درجة تقرب من تصويره بالألوان، وقد اضطرّ رواة اللغة ونقلتها في عهد التدوين إلى إفراد هذا النوع – وهو النبات والشجر – خاصة بالتأليف، فلأبي عبيدة والأصمعي ولأبي حاتم والنضر بن شميل ولكراع النمل ولأبي زيد الأنصاري ولكثير غيرهم كتب خصّوها وسمّوها باسم النبات والشجر.

ولإمام هذا النوع أبي حنيفة الدينوري كتاب «النبات»، وهو البحر الذي لا ساحل له، وهو مفخرة اللغة العربية بلا منازع، وهو الكنز الذي لم يرزأنا الدهر بأنفس منه ولا أثمن ولا أغلى، وإن مصيبتنا به لتفوق مصائبنا في الأعلاق الثمينة، وإن خسارتنا له لخسارة يعز عنها العوض، لولا سلوة بتلك الشذرات التي ينقلها عنه أصحاب المعاجم مباشرة أو بواسطة، وان هذه الكتب الخاصة بالنبات والشجر لبرهان مستقل قائم على مقدار اتساع هذه اللغة الشريفة وإحاطتها، ودليل من جهة أخرى على فضلها على المعارف البشرية، وجواب مسكت للذين يهرفون بتنقص هذه اللغة ويرمونها بضيق العطن والقصور **عن استيعاب المعارف، وتوبيخ مر لزعنفة من أبناء العرب العاقين الذين يلوون ألسنتهم بمثل هذا الكلام ويشايعون لجهلهم وفسولة أخلاقهم وانحراف أمزجتهم العربية، أعداءها على ذمها والزراية بها والتقليل من خطرها، وأنا لا أرى دواء لهذه الزعنفة التي ضلّت عن جهل إلا الاحتقار فما بفقدهم ينقص عديد العرب، ولا برطانتهم يقل شأن العربية ويخف وزنها.**

وانهم عندي لأهل للرحمة بما جهلوا، لا للحسد على ما علموا، ولو علموا أو حفظوا فصلاً واحدًا مما وضعته العرب لجماعات الحيوان وطوائفه، كالأجل والرجل والسرب والعانة والقطيع إلى آخر هذا النوع أو لأصواتها – وما أكثرها – لأشرفوا على بحر لجي يجدون عنده رطانتهم ضحضاحًا غمرًا، لا يغمر كعب إنسان، ولو علموا أن العرب تقول: خطَيب وَعُوع فيكون مدحًا، وخطيب وعواع فيكون ذمًا، ولهم في كل كلمة مرمى من الاشتقاق مصيب، لو علموا ذلك ونحوه من أسرار الاشتقاق، وهو باب من أبواب وفصل من كتاب وقزعة من سحاب، لأقلعوا عن غيّهم وكفّوا من غلوائهم، ولكنه الجهل يعمي ويصمي.

وإذا أردت أن تفهم بعض السر في خصيصة العرب في الوصف، فاعلم أنّ الصحراء لبستهم – ولبسوها – حتى أصبحت حياتهم جزءًا منها فأورثتهم ملكة التأمّل، ولو سمّيناها ملكة الحواس لكان هذا هو الصحيح ومنها جاءتهم دقة الحسّ ولطافة الشعور وصدق التصوير، ولا نشترط على التاريخ أن يأتينا بأمة أمية من أممه يطاول بها أمة العرب في هذا

الباب، بل نتنازل وندعوه لأن يأتينا بأمة من أمم الحضارة تستطيع أن تقف بجانب العرب في هذا الميدان.

«فصل»

ونعود إلى الحديث عن الضبّ، فأنا أعترف أني ما حققت معنى المثل العربي المشهور «أعقد من ذنب الضبّ» إلا بعد دراستي لضبّكم، وأن هذا المثل لأشهر من «قفا نبك...» وانه لممضوغ بكل لسان، ممجوج على سن كل قلم، تقرأه في كل صحيفة وفي كل كتاب، وما أكثر العقد – والتعقيدات – في زماننا التي يحسن ضرب هذا المثل لها، ولو أن الذين يضربون هذا المثل تقليدًا واتّباعًا رأوا الضبّ ورأوا ذنبه وتحسّسوا تلك العقد الشائكة في ذنبه، لكان تمثلهم أوقع في نفوسهم ولكانت نفوسهم أشدّ تأثّرًا به، وعلى مقدار التأثر يكون التأثير، ولعلموا مع ذلك إصابة العرب في مواقع التمثيل ومراميهم في مضارب الأمثال، وأن في المخلوقات أشياء كثيرة ذات عجر أو عقد أو أبن، ولكن العرب آثروا الضبّ في التمثيل لأنه حيوان صغير مسالم ليّن المجسّة كليل الظفر إلّا عن حفر الكدى ليتّقي لا ليتّقى، ومع هذه الصفات الرخوة فذنبه معقّد ذاك التعقيد العجيب، وهو شائك، وهو لحامله شكة وحامله منه شاكي السلاح، وقد حكى لي بعض من رآه يضرب به الأفعى حتى يقتلها.

وقد أكثرت العرب من ضرب الأمثال بهذه الزواحف والحشرات الحقيرة، فكان ذلك تنويهًا بشأنها وتنبيهًا للمتوسمين والباحثين في مخلوقات الله ليزداد المؤمن إيمانًا بالخالق ويزداد المتفقّه فقهًا في حقائقها، ويزداد الباحث توسّعًا في المعرفة، والمعرفة ميزة هذا الجنس.

وقد قالوا ضلّ دريص نفقه، وهو تصغير درص اسم لجرو الفار، وقالوا: «تخلصت قائبة من قوب» للفرخ من البيضة، وهذا باب واسع في أمثالهم يقبح بالمتأدبين من ناشئتنا أن لا يجعلوا له حظًا من حفظهم وبحثهم، وأنا فقد رأيت الضبّ مسلوخًا ومطبوخًا – وإن لم آكل لحمه – عند البدو في نجد الغربية مما يلي المدينة المنورة، ورأيته عند دافة من أعراب الحجاز دفت على المدينة في عام ممحل فما أثارت رؤيته في نفسي إلا ذكرى أنه عرض على مائدة رسول الله ﷺ، فرفع يده فقيل له: أحرام هو يا رسول الله؟ فقال: «لا أحرم ما أحلّ الله، ولكنه ليس بأرض قومي – وإن نفسي لتعافه –» وفي هذا الجواب روايات، وان خالد بن الوليد حين سمع هذا الجواب تناوله من بين يدي رسول الله فأكله، ويؤخذ من جوابه ﷺ، أن الضبّ غير موجود بمكّة في زمنه، ولم أوفق إلى سؤال أهل مكة عنه في زمننا هذا، ولو سألت لكان زيادة في العلم واليقين، لأن الحديث ظني، وان تعددت طرقه واشتهر بإخراج الصحاح له.

وهذا التقصير الذي شاهدته وشهدت به على نفسي ناشئٌ عن قصور في ملكة التأمّل والبحث إذ ذاك، لأنها كانت مزاحمة بالأبحاث الدينية، وان رواية هذا الحديث في مجالس الرواية لا تثير في النفس أكثر من الاهتمام بحكم أكل لحمه شرعًا، وهو اهتمام له حظ واعتبار في موضوعه وجوّه الخاص، ولكن المثال البارد الفج «الصامط»[1] الذي لا يثير في النفس اهتمامًا بل يثير فيها اغتمامًا هو المثال الذي تعلّمناه من كتب النحو، وهو قولهم:

«... هذا جحر ضب خرب» يمثلون به للجر بالمجاورة أو بالتوهّم لا أدري، وإنما الذي أدريه هو أن هذا النوع من الجر مسموع عن العرب، وهو من شذوذاتهم اللغوية وانحرافاتهم عن مقاييس لغتهم، وهو مقبول منهم لكنه مقصور على ما سمع منهم، فلا يسوغ لنا نحن طرده من كلامنا حتى لا نفسد اللغة على أنفسنا بهدم القواعد الصحيحة والجري على غير منهاج، ولهذه الشذوذات في العربية فلسفة خاصة لم يشبعنا أحد بالحديث عنها حتى الآن، ولو وجدت متسعًا من الوقت لكتبت فيها ما يصحّ أن يكون نواة في الموضوع، إذا تعاهده الباحثون أصبح شجرة ذات أكل شهي. ولفيلسوف هذا الفن أبي الفتح عثمان بن جني جمل متفرقة في هذا الموضوع لكنها تنطوي على نظرات سديدة وتدلّ على انفساح ذرع الرجل في هذا العلم، وإذا كان هذا النوع من الجر مسموعًا موقوفًا على السماع فلست على ثقة من أن مثال النحاة مسموع من العرب وإنما هو مثال سوقي انتحلوه، ثم قلّد آخرهم أولهم فيه على عاداتهم، وهل يصحّ لهم أن يمثلوا لمسألة سماعية بمثال مصنوع؟ لا. ودليلي على أن المثال مصنوع أمران:

الأول: أن نطق العرب لا يساعد على ما ادّعاه النحاة فيه، لأن كلمة خرب التي يدّعي النحاة جرّها جاءت مقطعًا في الجملة لم تعقبها كلمة أخرى، فإذا نطق بها عربي نطق بها ساكنة الآخر بلا شك، فمن أين يظهر الجر الذي ادّعوه فيها؟ ووددت لو ذاكرت بعض نحاة العصر المفتونين بالمباحث اللفظية العقيمة في هذا التوجيه لأسمع رأيهم، وما عسى أن يأتوا به من حجج فارغة، وكم في كلام الفارغين من تسلية للهم وتزجية للوقت وترويح للخواطر المكدودة بشرط أن يكون السّامع موفور الحظ من الصبر.

والثاني: أن معنى المثال على برودته وجفافه لا يتفق مع ما يعرف العرب عن الضبّ من أنه لا يحفر جحره إلا في الكدى (جمع كدية) وهي جبيل صلب الأرض متماسك التراب، ولذلك يضيفونه إليها كثيرًا فيقولون: ضب الكدية، وضب الكدى، يستعملون هذا كثيرًا في كلامهم، وفي مقصورة ابن دريد، بيت مختومة بضب الكدى ولا أذكرها الآن وليس عندي ما أراجعها فيه، وقد قال الشاعر:

---

1) كلمة عامية معناها ثقيل الظل.

سقى الله أرضًا يعلم الضبّ أنها بعيد عن الأدواء طيّبة البقل
بنى بيته فيه على رأس كدية وكل امرئ في حرفة العيش ذو عقل

فقد وصف هذه الأرض التي اختارها الضبّ لسكناه، بأن الضبّ – وهو الاختصاصي في هذه الهندسة – كأنه يعلم أنها بعيدة من الآفات، وأكبر الآفات في نظر الضبّ السقوط والانهيار والخراب.

وقال الشاعر الآخر فزاد المعنى المراد توضيحًا، وهو يتحدث عن الضبّ:

ويحفر في الكدى خوف انهيار ويجعل بيته رأس الوجين

والوجين: هو الأرض الصلبة الغليظة، ومن هذه الكلمة جاء قولهم: رجل موجّن، قوي عظام الأضلاع والصدر. ومنها ميجنة الثياب، آلة تدق بها، ومنها جلد موجّن: مضروب بعد الدبغ حتى تتداخل أجزاؤه وتلطف فيلين مع القوة. فهذا البيت شاهد على أنه «ليس جحر ضب خربًا»، ولهذه الخاصية في اختيار الضبّ للكدى، تصفه العرب بصفة ملازمة فيقولون «ضب دامي الأظافير» جمع أظفور. قال الشاعر:

تَرَى الشرّ قد أفنى دوائر وجهه كضبّ الكُدَى أفنى أنامِلَه الحَفْرُ

ومن تهكّمات المعري وهمزاته، أن صاحبه أبا القاسم المغربي المشهور في علم التاريخ والأدب بالوزير المغربي، اختصر في حداثة سنّه كتاب «إصلاح المنطق» ليعقوب ابن السكيت، وأهدى منه نسخة إلى صفيّه المعرّي، وكانت بينهما أسباب متينة العرى، فكتب له المعرّي جواب الإهداء رسالة من أبدع رسائله، وفيها نقد لكتاب ابن السكيت على طريقة المعرّي الغريبة في سخريته العجيبة يقول فيها، إن لم تخنّي الذاكرة.

«وقد أكثر يعقوب من الاجتهاد، في إقامة الأشهاد – يعني الشواهد – حتى ذكر رجز الضبّ وانّ مَعَدًّا من ذلك لجِدٌّ مُغْضَب، أعَلَى فصاحَتِهِ يُسْتَعانُ بالقَرْض، ويُسْتَشْهَدُ بأحناش الأرض، ما رُؤْبَةُ عنده في نفير، فما قَوْلُكَ في ضبّ دامي الأظافير...».

وهذه الرسالة الرائعة مطبوعة مصحّحة فيما طبع «كامل كيلاني» مع رسالة الغفران، فإن كانت عندك فراجعها، فلعلّ الحافظة لم تضبط ألفاظها، ومحل الشاهد فيها لموضوعنا وصفه الضب بما كانت تصفه العرب من أنه «دامي الأظافير» ولا سبب لذلك إلا حفره لجحره في الكدى الصلبة، وهذه كلها دلائل على فساد مثال النحاة إعرابًا ومعنًى. ولا ننكر أن بعض جحر الضِّباب تخرب، وقد خربت مدائن الرومان والفراعنة فضلًا عن جحور الضباب، ولكنه

بارد جاف متخاذل خاذل لحافظه، إذ يوهمه خلاف الواقع، ومنه ومن أمثاله خذل المتأدبون بكتب النحو الذين قعدت بهم همّتهم عن التأدب بلغة العرب من شعرهم وخطبهم، ولم يحصل واحد منهم ملكة صحيحة في هذه اللغة ولا ذوقًا صحيحًا في أدبها، والواجب في الأمثال أن تكون جملًا حكيمة ذات معان مستقيمة وألفاظ قويمة حتى يحصل الحافظ لها فائدتين: الحكم اللفظي والمعنى الذي يترك أثرًا في النفس، ومن مجموع هذه الأمثلة يتكوّن الأدب والأديب. وقد نعى ابن خلدون في زمنه هذا الذي نعيناه وانتقد من مزاولي النحو ما انتقدناه – وهو لعمري – نقد صريح ما عليه غبار.

وانظر قولهم «لا تأكل السمك وتشرب اللبن» كيف لعب به الزمن وتعاوره الاستعمال حتى أصبح ما ليس بصحيح فيه صحيحًا وأصبح قاعدة طبية، وما هو من الطب ولا قاله طبيب ولا هو بصحيح في الواقع والتجربة ولا بمُطّرِدٍ ضرره على فرض وقوع ضرر منه في جميع الأمزجة، وقد استعمله النحاة مثالًا لحكم لفظي فأدّوا مرادهم به على أكمل وجه، ولكن لما لم يكن معناه صحيحًا أوقع أممًا وأجيالًا في الخطأ، فحفظه الناس ونقلوه من الاحتجاج به على حكم أعرابي إلى الاستشهاد به على حكم حيوي، وأصبح الناس يتحامون الجمع بين اللبن والحوت عن عقيدة قرّرها في نفوسهم هذا المثال، وإذا كانت في المِعَدِ معدة ضعيفة تتأثّر من الجمع بين غداءين، فمحال أن تكون حجة على معد بني آدم في علم أو عالم الكروش.

أما أنا وحياتك – كما يقول الزاهري – فإنني ما رأيت أصلح لمعدتي من الجمع بين السمك واللبن والفضل لهذه الطبيعة التي لا تقلد في السفاسف.

«فصل»

ورجز الضبّ الذي أشار إليه المعرّي وانتقد على ابن السكيت الاحتجاج به أصله مزعم من مزاعم العرب التي لا حقيقة لها، إذ زعموا أن الحيوانات كانت كلها تتكلّم ونحلوا بعضها كلمات وجملًا وأبياتًا من الشعر، وليس وضعهم لما وضعوا من هذا من ذلك النوع المعروف عند جميع الأمم، وهو وضعهم أشياء على ألسنة الحيوانات إيغالًا في الحكمة وتطرقًا لتربية النفوس البشرية وسوقها لفضيلة أو صدّها عن رذيلة، فإن هذا النوع من الأدب السامي هو نمط من التربية الصالحة كما في كتاب «كليلة ودمنة»، ولكن العرب كانوا يعتقدون هذا اعتقادًا، وإن لم يكن عامًا فيهم. وفي شعر أمية بن أبي الصلت المتأله بيت في تقرير هذا المعنى، ولم أتذكر الآن ألفاظ هذا البيت، وقد سمعت من العوام وشاهدت من يعتقد هذه العقيدة.

ومن فروع هذا المزعم عند العرب أنهم زعموا أن السمكة قالت للضب: وردًا يا ضب، فقال الضب:

أصبح قلبي صَردَا لا يشتهي أن يَرِدَا
إلا عَرادًا عرِدَا وصِلِيّانًا بَرِدَا

فهذا هو رجز الضب وهو مبني على اعتبار صحيح، وهو أن الضب لا يشرب الماء، ولعلّه يكتفي عنه برطوبة الهواء الذي يستنشقه والعشب الذي يأكله، كما قالوا في الظباء التي تجتزي عن الماء بما تأكله من حشيش رطب، ولذلك سمّى العرب هذه الظباء جوازي واحدتها جازية. ولهذه الكلمة ذكر مستفيض في كلامهم، وبها سمّيت الجازية المرأة التي بنيت عليها قصة بني هلال أو بطلة الرواية.

«فصل»

ومن مزاعم العرب في الضب أنه أول من دلّ على نفسه، إذ كانت الحيوانات كلّها تتكلّم، فزعموا أن صائدًا مرّ بوادٍ فيه ضب فلم يتوجّه إلى صيده، فخاطبه الضب بقوله:

انك لو ذقت الكُشى بالأكباد.. لما تركت الضب يعدو بالواد: والكشى جمع كشية وهي شحمة مستطيلة في الضب يقول آكله إنه لا ألذ منها، ومعنى قوله – لو ذقت الكشى بالأكباد – لو أكلتها ملفوفة بالأكباد أو ممزوجة بها فهو – زيادة عن كونه دلّ على نفسه – أرشد إلى كيفية ونوع من أنواع الملفوف – وتذكّرنا كلمة الكشى بكلمة للزمخشري من كَلِمَهِ النوابغ وهي: ما الأعراب بالكشا – أولع من القضاة بالرشا. وأنا أرى أنّ دعوى العرب لدلالة الضب على نفسه أو تزيينه للناس أكله بطيب شحمه، أرى هذه الدعوى ترجمة غامضة لحقيقة كونية تكلّم عنها الحكماء الباحثون في أسرار الكون والمستشرفون لحكمة الخالق في مخلوقاته، وهي أن الحكمة العليا في ألوان الفواكه الزاهية ذات التّلاوين والتهاويل كالخوخ والإجاص والتفّاح وغيرها في مقاديرها وأشكالها هي الدعاية إلى أكلها بمجرّد النظر إليها من الإنسان والحيوان، فإن الرؤية بالعين تسبق الذوق باللسان وتبين الطعم واللذاذة. فتلك الألوان والأشكال هي دعايات تستهوي من فيه قابلية الأكل وتدعوه إلى التجربة، فإذا تمّت التجربة صارت عادة في العقلاء وغريزة فيمن سواهم، ولولا هذه الدعاوى المستهوية في الألوان والتهاويل لما أقدم عاقل ولا غيره على تجربة شيء لم يعرفه لاحتمال أن يكون فيه داؤه لا غذاؤه، والحي إذا عرض له خيال الموت ذابت كل الاعتبارات في نفسه، ويعد هؤلاء العلماء والحكماء وجود هذا المعنى في الفواكه بمثابة المحافظة على بقاء نوعها وتسلسل نسلها، وهي السنة المعروفة في عالم الحيوان بنظام التوالد النوعي والتلاقح

الجنسي، فلو فرضنا وجود تينة واحدة في العالم في بقعة لا يوجد بها آدمي لكان من المترتب على هذا الفرض انقراض صنف التين بعد موت تلك الشجرة، ولكن تلك التينة قد أودعت فيها الحكمة ما يحفظ بقاءها النوعي بعد فنائها الشخصي، وذلك أن ألوان ثمرها تستهوي الطيور إلى أكلها ثم تزرع بذورها التي تخرج مع الفضلات في الصخور أو الأودية، فتنبت منها شجيرات صغيرة ثم تنمو وتثمر دواليك، وقل مثل ذلك في النخلة وغيرها. وكم رأينا في شقوق الصخور الشاهقة– حيث لا تصل يد إنسان – أشجارًا من التين عظمت حتى صارت دوحًا وما نبتت إلا من البذور الخارجة مع رجيع الطيور.

وعلى هذا فلا يبعد أن يكون قومنا العرب أدركوا ذروا من هذه الحكمة – وليس ذلك بعجيب منهم – فجعلوا دلالة الضب على نفسه تعبيرًا بلسان الحال عن هذه الحكمة، ولا شك أن الآكل الأول للضب ما أكله إلا بعد أن استهواه شيء فيه من سماته الظاهرة كالكشية، وكم لله من سر خفي!

«فصل»

وكما يستطيب العرب لحم الضبّ حتى صار لهم أثرًا وخبرًا، كانوا يستطيبون أكل بيضه ويسمّى في لغتهم «المكن».

يقول المتنبي في وصف قوم من الأعراب:

خُرَّاب باديـة غـرثى بطـونـهـمُ مَكْنُ الضباب لهم زاد بلا ثمن

والمتنبي ممن يحسن التبدي والتعاريب، ويحسن وصف البدو مدحًا أو ذمًا، وهذا البيت من هذا الطراز.

وقال شاعر آخر، وأظنّه إسلامي يتعارب، ولست أتذكر اسمه الآن:

أكلـت الـضـبـاب فـمـا عـفـتـهـا وانـي لأهـوى لـحـوم الـغـنـمْ
وركّـبـت زبدا عـلـى تـمـرة فـنـعـم الـطـعـام ونـعـم الأدم
وقـد نـلـت ذاك كـمـا نـلـتـم فـلـم أرَ فـيـهـا كـضـبّ هـرم
وما في البيوض كبيض الدَّجَا جِ وبَيْضُ الجراد شفاء القرم
ومكن الضباب طعام العُرَيْبِ ولا تـشـتـهـيـه نـفـوس الـعـجـم

وكيف لا يستطيب لحم الضباب ومكن الضباب من يقول شاعرهم، وهو عروة بن الورد:

عـشـيـة رحـنـا سـائـريـن وزادنـا بقـيـة لـحـم من جَزورٍ مُمَلَّحِ

إننا نعرف العرب ونعرف أنهم قوم يزنون الحياة بغير ما تزنها به أمم البطون والفروج، وموازينهم في الحياة تدور على قطب واحد وهو المحمدة والذكر الحسن، وفي ذلك يقول أولهم – وما هو بالأول في هذا الباب – وهو يخاطب زوجته:

إذا ما صنعت الزاد فالتمسي له أكيلًا فإني لست آكله وحدي
أخا طارقًا أو جار بيت فإنني أخاف مذمّات الأحاديث من بعدي

ويقول آخرهم، وما هو بالآخر في هذا الباب:

وإنما المرء حديث بعده فكن حديثًا حسنًا لمن وعى

«فصل»

وتضرب العرب المثل بالضب في عدة غرائز، فيضربون به المثل في الحيرة فيقولون: أحير من ضب، ويزعمون – وهم أعرف الناس به – أنه إذا بَعُدَ عن جحره خبل ولم يهتد إليه على خلاف المعهود في أمثاله من سكّان الأجحار، وهو على خلاف المعهود في الطيور ذوات الأوكار، ويضربون به المثل في العقوق فيقال: «أعق من ضب»، ويفسّرون عقوقه بأنه يأكل حُسُولَهُ، جمع حِسْل وهي جراؤه الصغار وهو لَحِمٌ ونباتي معًا، واللحم هو الذي يأكل اللحم ويجمع على لواحم. يقولون لا آتيك سِنَّ الحسل يعنون التأبيد إذ يزعمون أن الحسل لا تسقط له سن.

«فصل»

ويزعمون أن الضب له نزكان، أي ذكران واحدهما نزك، ويعدون هذا من فضائله وخصائصه، وكثيرًا ما فكّرت في هذا الزعم، ما يصنع بالنزكين؟ أَيَكُومُ بهما معًا في آن واحد؟ ويلزم من هذا أن يكون لأنثاه فرجان، أم يستعمل أحدهما حتى إذا كَلّ وفتر استعمل الآخر؟ كما يستعمل البطل سيفين على التعاقب احتياطًا لكلال أحدهما أو انثلامه، وإذا كان حقًا ما يقولون فلا نشكّ أن الخالق لم يخلقهما عبثًا، ولم أزل في ريب حتى قرأت حكاية عامل لخالد القسري، أهدى إليه في يوم نيروز سلة مملوءة ضبابًا وكتب معها أبياتًا في وصفها منها قوله:

ترى كل ذيّال إذا الشمس عارضت سما بين عرسيه سمو المخايل
حِسْلٌ له نزكان كانا فضيلة على كل حافٍ في البلاد وناعل

فوقعت في حيرة أخرى من قوله: سما بين عرسيه لما يفهم منه أن له زوجتين، ولعلّ من خصائصه – ما دام محلًا للخصائص – أنه خلق بنزكين لِيَكُومَ كل عرس بنزك،

ويكون اختصاصه بالنزكين مرتبطًا باختصاصه بالعرسين، وزاد في الحيرة أن في غيره من الحيوان بما فيه الإنسان من له أكثر من عرس، وذكر الحمام والدجاج يسافد العشرات من إناثها، وليس لجميعها إلا نزك أو ذكر واحد، وما دمنا لم نجرّب ولم ندرس دراسة استقراء. فلنقل ما قالته العرب إنها خصوصية أو فضيلة، ومن أحبّ شيئًا نحله ما شاء من الكمالات، ثم قرأت في بعض كتب اللغة: أن ذكر الضب يسمّى نزكًا، وأن لكل ضبّ نزكين وأن فرج أنثاه يسمّى قُرْنَة، ولأنثى الضب قرنتان، فإن صحّ هذا ظهرت الحكمة في النزكين.

«فصل»

ولما ذكرناه من علاقة العرب بالضبّ سمّوا به على عاداتهم في التسمية بالأشجار والنبات والأحجار والحيوان، ولهذه الأسماء العربية المنقولة من أسماء الجماد والنبات والحيوان فلسفة خاصة كنت أمليت فيها دروسًا عديدة على تلامذة دار الحديث بتلمسان في 1357هـ، وكتبها عنّي التلاميذ وجعلتُها مقدّمة لدرس أنساب العرب، وقد سئل بعض العرب، ما لكم تسمّون أبناءكم بأسماء قبيحة جافية، وتسمّون عبيدكم بأسماء حسنة كسرور ورياح؟ فأجاب العربي: إننا نسمّي عبيدنا لأنفسنا، أما أبناؤنا فهم لعدوّنا. يعني أن العبيد للخدمة والمهن المنزلية أو للقيام على الماشية، وكلها سلم واطمئنان، فكان المناسب هذه الأسماء المفرحة التي تجري مجرى الفأل.

وأما الأبناء فمرمى العرب من كثرة النسل الاعتزاز بهم والاعتماد عليهم في الغارات والانتصاف من الأعداء، وأليق الأسماء بهذه المواقف: «جندل» و «نهشل» و «صخر» و «ليث» و «فهد» و «عوسجة» و «حرب» لأنها تثير في نفوس الأعداء خيالات من معانيها، ومن الغريب أن العرب لم تُسَمِّ ضبًّا بلفظ المذكّر إلا قليلًا، وأغلب ما سمّت به ضبة بلفظ المؤنث وهو علم على عدة قبائل يطلقون عليها الضباب.

ومن أشهر من تسمّى بهذا الاسم ضبة بن أدّ بن طابخة وهي قبيلة مشهورة يعدّها النسّابون الجمرة الثالثة من جمرات العرب، وجمرات العرب هي قبائل استقلّت ولم تحالف غيرها لعزّها ومنعتها، ولفظها مأخوذ من التجمّر، وهو التجمّع، وهذه الجمرات هي نمير بن عامر وضبة بن أدّ والحارث بن كعب، ويقول علماء النسب إن الجمرتين الأخيرتين انطفأتا بالمحالفة لأن ضبة بن أد حالفت الرباب والحارث بن كعب حالفت مذحج، وبقيت نمير بن عامر جَمرة متّقدة لم تحالف أحدًا إلى أن جاء الإسلام، وكما تسمّى هذه القبائل جمرات تسمّى جمارًا.

يقول الفرزدق: خطرت ورائي دارمي وجماري. ونسيت الشطر الأول. ومما يطربني من كلام الشعراء في ذكر الجمرة والجمار قول مهيار الديلمي تلميذ الشريف الرضي في إحدى قصائده:

يا ابنة (الجمرة) من (ذي يزن) في الصميم العِدِّ والبيت الرحيب

ويا بني: إن مما آسف عليه أسفًا لا ينقضي، ضياع هذا العلم من بيننا، علم **أنساب العرب وأيام العرب وأمثال العرب، وانها لكنوز من المعارف وأجزاء كاملة من التاريخ والأدب ومحال أن يزدهر الأدب العربي ويؤثر آثاره المرغوبة في ناشئتنا إلا إذا استكمل الأدباء هذه الأجزاء المفقودة.**

وعلى ذكر اختيار العرب في التسمية ضبّة دون ضب، أذكركم بكلام كنت قرأته لبعض علماء اللغة المتبحّرين في فهم أسرارها، وهو أن العرب يلحقون تاء التأنيث بصفات المذكّر كثيرًا كـ «علامة» و «فهامة» و «تكلامة» و «تلقامة» و «رحلة» و «هزأة»، وهي كثيرة في كلامهم، قال: وهم يرون فيما هو منها مدح إلى معنى الداهية، وفيما هو منها ذم إلى معنى البهيمة العجماء، وهو كلام فقيه في العربية محيط بأسرارها ومقاصد واضعيها وخلجات نفوسهم، وأظن أن صاحب هذه النظرية هو ابن الأعرابي أحد فقهاء اللغة المبرزين، ولا أقطع بذلك.

«فصل»

وقد جرى في هذه الرسالة ذكر الوزير المغربي، وهو رجل يقبح بمتأدب أن يجهله، وهو رجل غريب الأطوار بعيد الهمة عجز المؤرّخون أن يحلّلوا سيرته تحليلًا صحيحًا، ولم يقل لنا التاريخ إلا أنه مغربي، كان أبوه من رجال الدولة الفاطمية بمصر ومن دعائمها وخواصّها، ثم قتله الخليفة الحاكم بأمر الله وهرب ولده هذا إلى القدس وأثارها شعواء على الحاكم بدهائه وكيده، ثم تقلبت به الأحوال ودخل بغداد فأقام الخلافة العبّاسية وأقعدها خوفًا منه وتقلب فيها في عدة ولايات من كتابة ووزارة لبعض ملوك الطوائف فيها، ولا نشكّ في أن أصله من القيروان أو من هذه النواحي، ودخل أسلافه في ركاب الخلفاء الفاطميين إلى مصر حين فتحوها، وكان شعلة ذكاء وحفظ للآداب وأصناف المعارف، واجتمع بالمعرّي وهو صغير بحلب، فانعقدت بينهما ألفة متينة تستشفّ مما تراسلا به بعد الفراق، وحسبك شهادة المعرّي دليلًا على مكانته في العلم والأدب، وقد غمض الكثير من تاريخه وتاريخ أوليته بغموض تاريخ الفاطميين. وكثيرًا ما أذكر هذا الرجل فأذكر بذكره أبا علي المليانى، أحد كتّاب الدولة المرينية وأصله من مليانة، فقد كان يشبه الوزير المغربي في الطموح إلى العلا وفي الاستبداد وركوب العظائم، نوّه به ابن الخطيب في كثير من كتبه **ووصفه في كتابه**

«التاج المحلى» بقوله: الكاتب الباتك والصارم الفاتك، ثم ذكر من أفعاله الدالّة على بعد همّته مكيدة كادها لبعض أعدائه، وفتكة فتكها بهم ظهر فيها دهاؤه وإقدامه، واشتهر بها تاريخ حياته وقال في آخر الترجمة:

وتركها شنعاء على الأيام وعارًا في الأقاليم على حَمَلَة الأقلام.

هذا ما جرى به القلم مما جر إليه ذكر الضبّ الذي أهديتموه لولدي الصغير، فأحسنتم بذلك إلى شيخ كبير، فقد تذكّر بسببكم بعض ما كان ناسيًا، وأبى إلا أن يشكر إحسانكم بكتابة هذا القدر إليكم عسى أن تستفيدوا منه فائدة، فيكون جزاء على تسبّبكم في الخير، ولو كان هذا لِحَدَثانِ في المطالعات الواسعة أو في وقت الحداثة وامتلاء الحافظة، لكانت هذه الرسالة مزاحمة لرسائل القدماء في الإحاطة وجمع الأطراف.

ولكن عذري عندكم وعند من يطّلع على هذه الرسالة فيجد فيها قصورًا أو وضعًا لبعض الأسماء في غير موضعها أنني أمليتها في ليلة، وما أملاها إلا فكر كليل عن حافظة مختلّة نسيت أكثر ما وعت وضيّعت كثيرًا مما استودعت، مع اضطراب الحال واشتغال البال، وعسى أن تكون هذه الرسالة تذكرة بالحال الذي كتبت فيه والبلدة التي صدرت عنها والزمان الذي أنشئت فيه؟

مسرد المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

*- القرآن الكريم ،برواية ورش عن نافع.

* القرآن الكريم ،برواية ورش عن نافع.

1. الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، مطبعة حجازي القاهرة، (د،ط)،(د،ت).

2. آثار محمد البشير الإبراهيمي،محمد البشير الإبراهيمي ،جمع وتقديم نجله أحمد طالبي، دار الغرب الإسلامي،1987، الطبعة الأولى.

3. الأحكام في أصول الأحكام، علي بن محمد الآمدي، تحقيق سد الجميلي، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى، 1404، 1914.

4. أساس البلاغة، الزمخشري ، المكتبة العصرية، بيروت، 1426هـ/2005م.

5. أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، قراءة وتعليق محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، (د.ط)، (د،ت).

6. الأمثال العربية القديمة، دراسة أسلوبية سردية حضارية، أماني سليمان داود، دار الفارس للنشر، الأردن، الطبعة الأولى، 2009.

7. البحث اللغوي عند العرب مع دراسة لقضية التأثير والتأثر،أحمد مختار عمر، صدر عالم الكتب، الطبعة السادسة 1988،

8. البشير الإبراهيمي أديباً، محمد عباس، ديوان المطبوعات الجامعية، وهران، (د، ط)، (د، ت).

9. البشير الإبراهيمي في عيون معاصريه، محمد الهادي الحسني، ط1 ،2007.

10. البيان والتبيين، الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الخامسة، 1985/1405.

11. دراسات في الدلالة و المعجم، رجب عبد الجواد إبراهيم ، دار غريب القاهرة، (د.ط)، (د.ت).

12. الدلالة الإيحائية في الصيغة الإفرادية، صفية مطهري، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، (د.ط)، (د،ت).

13. دلالة الألفاظ، ابراهيم أنيس، مكتبة الإنجلو مصرية للنشر ،ط5، 1984.

14. الدلالة الصوتية في اللغة العربية، صالح سليم عبد القادر، الناشر المكتب العربي، (د.ط)، (د.ت).

15. دلائل الإعجاز في علم المعاني، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1422هـ، 2001م.

16. ديوان ابن دريد، وشرح مقصورته للخطيب التبريزي، دار الكتاب العربي، بيروت، 1424،2004.

تاريخ الأدب العربي،شوقي ضيف،دار المعارف الطبعة 24،2003.

17. كتاب الشاء، الأصمعي، حققه د صبحي التميمي، دار أسامة بيروت، الطبعة الأولى 1407،1987.

18.الكتاب، سبويه، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي مصر، ط2، 1977.

19.لسان العرب، ابن منظور، دار المعارف القاهرة،(د.ط)، (د.ت).

20.المثل السائر،في أدب الكاتب، ضياء الدين ابن الأثير قدمه و حققه، أحمد الحوض، بدوي طبانة، دار نهضة مصر، (د.ط)، (د، ت).

21.مجمع الأمثال ،أبي الفضل أحمد بن محمد الميداني، تح،أبو الفضل ابراهيم، دار الجيل، بيروت، ط2، 1987،1407.

22.محاضرات في علم الدلالة نصوص وتطبيقات، خليفة بوجادي، بيت الحكمة الجزائر الطبعة الثانية، 2012.

23.محمد البشير الإبراهيمي بأقلام معاصريه، دار الأمة، ط2 ،الجزائر 2007.

24.المستصفى من أمثال العرب، الزمخشري، دار الكتب العلمية ،بيروت،ط2، 1987.

25.معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر،عادل نويهض، مؤسسة نويهض للنشر، بيروت، الطبعة الثانية، 1400-1980.

26.معجم الأمثال العربية،خير الدين شمس باشا، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى 2002،1423.

27.المعجم المفصل في اللغة والأدب ، نحو ، صرف ، بلاغة ،عروض ...،اميل بديع يعقوب، ميشال عاصي، دار العلم للملايين ، بيروت، الطبعة الأولى سبتمبر ،1987.

28.المعنى اللغوي دراسة عربية نظريا وتطبيقيا، محمد حسن حسن جبل، مكتبة الآداب، القاهرة، الطبعة الأولى، 1426هـ، 2005م.

29.معيار العلم في فن المنطق، أبو حامد الغزالي، شرحه أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت ، الطبعة الأولى، 1410، 1999.

30.المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني، تحقيق وضبط محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، (د.ط)، (د.ت).

31.مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (د.ط)، (د.ت).

32.المنجد في اللغة والأعلام ،شركة الطبع والنشر اللبنانية "خليل الديك وأولاده"، دار المشرق بيروت ،(د،ط)، (د،ت).

33.موسوعة الأمثال"الدرة الفاخرة في الأمثال السائرة" لحمزة الأصفهاني، تحقيق،قصي الحسين، دار الهلال، بيروت، ط1، 2003.

34.النثر الفني عند البشير ،عبد الملك بومنجل،بيت الحكمة، الجزائر، الطبعة الأولى، 2005.

35.النظريات اللسانية و البلاغية عند الجاحظ ن خلال البيان والتبيين،محمد الصغير بنان، ديوان المطبوعات الجامعية، (د.ط)، 1983.

36.علم الدلالة اصوله ومباحثه في التراث ، عبد الجليل منقور ، اتحاد كتاب العرب ، دمشق ، (د، ط)، 2001

37.فصل المقال في شرح الأمثال،أبو عبيد البكري، تح إحسان عباس،مؤسسة الرسالة لبنان،(د،ط)،1971.

38.فنون النثر الأدبي في الجزائر، عبد الملك مرتاض، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983.

39.قاموس المحيط، الفيروز أبادى، دار العلم للجميع، بيروت، (د.ط)، (د.ت).

40.التعريفات، الشريف الجرجاني ، مطبعة مصطفى البابي الجلي، القاهرة، 1357هـ / 1938م.

41.الخصائص، أبو الفتح عثمان ابن جني ، تحقيق محمد علي النجار، المكتبة العلمية، (د.ط)، (د. ت).

42.الظاهرة الدلالية عند علماء العربية القدامى حتى نهاية القرن الرابع الهجري، صلاح الدين زرال، منشورات الاختلاف ، الجزائر، الطبعة الأولى، 1429-2008.

المجلات:

1. الإبراهيمي، محمد البشير "أنا"، مجلة الثقافة، السنة 15، العدد87.

2. العلاقة بين اللفظ والمعنى بين المفهوم المعجمي والاستعمال عند البشير الإبراهيمي من خلال عيون البصائر،عبد الله بوخلخال، الإمام الرائد محمد البشير الإبراهيمي،المجلس الأعلى للجزائر،2009.

الملتقيـــــات:

1. بطاقة حياة ،محمد عمارة ، الملتقى الدولي للإمام محمد البشير الإبراهيمي،بمناسبة الذكرى الأربعين لوفاته ،دار الغرب الإسلامي ،ط2006،1427،1،الجزائر قصر الثقافة ،في 13و14 ربيع الثاني 1426،الموافق ل22-23ماي،2005.

2. رسالة الضب للبشير الإبراهيمي(مقاربة وصفية تحليلية)، بكوش حورية، ص، ملتقى وطني حول إسهامات علماء الجزائر في الدراسات اللغوية والأدبية، 70/60/مارس 2012.

فهرسة الموضوعات

فهرسة الموضوعات

الموضوعات	الصفحة
إهداء	
شكر وعرفان	
مقدمة	أ ـــــ ب ـــــ ج
مدخل: التعريف بالبشير الإبراهيمي ورسالته.	01
1. المولد والنشأة.	02
2. آثاره ووفاته	04
3. موقع رسالة الضب بين الرسائل اللغوية القديمة	06
الفصل الأول: الألفاظ ودلالتها عند علماء العربية.	14
1) مفهوم الدلالة وأقسامها.	14
2) الاهتمامات الدلالية عند علماء العرب.	16
3) اللفظ والمعنى عند الإبراهيمي.	24
الفصل الثاني: مواطن الدلالة اللفظية في رسالة الضب.	26
1) **التعريف بالرسالة**	26
2) تحليل الرسالة	27
أ) الدلالة المعجمية	27
ب) الدلالة السياقية	29
ج) الاشتقاق	31
د) الأمثال ودلالتها في الرسالة	32
خاتمة	37
الملحقات	39
قائمة المصادر والمراجع	53
فهرس الموضوعات	58